

د. محمد علي البار

# الانفجار السكاني وقضية تحديد النسل

الدار السعودية  
للنشر والتوزيع



حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

Saudi Publishing & Distributing House

Founded in Jeddah - Saudi Arabia, July 1966G.



الدار السعودية للنشر والتوزيع

سكك في جدة - المملكة العربية السعودية - غزة ربيع الثاني ١٣٨١هـ

- المركز الرئيسي : جدة - البغدادية - عمارة الجوهرة رقم (١) - الدور الثالث .  
ص . ب : ٢٠٤٣ - جدة ٢١٤٥١ .  
هاتف : ٦٤٢ ٤٢٥٥ - ٦٤٢ ٤٠٤٣ .  
فاكس : ٦٤٣٢٨٢١ - برقياً : نشر دار .
- مكتبات جدة : - شارع الملك عبد العزيز - هاتف : ٦٤٧ ٨٧ ٢٣ .  
- شارع فلسطين - مركز الزومان - هاتف : ٦٤٠ ٨٩ ٦٦٠ .
- فرع الدمام : شارع الظهران - بجوار إمارة المنطقة الشرقية .  
ص . ب : ٨٩٩ - الدمام ٣١٤٢١ .  
هاتف : ٨٢٠ ٧٧ ٦٩ - ٨٢٠ ١٥ ٨٣٢٣٥ - فاكس : ٨٣٣٥٥٢٠ .
- فرع الرياض : شارع الظفير - متفرع من شارع العليا العام - فيلا رقم ٦ .  
ص . ب : ٢٩٩٩ الرياض ١١٤٦١ .  
هاتف : ٤٦٤ ٧٤٤٨ - فاكس : ٤٦٤ ٧٤٤١ .

## المقدمة

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنعم على الإنسان بنعم لا تعد ولا تحصى، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾<sup>(١)</sup>، وجعل من أجل تلك النعم نعمة الذرية الصالحة.

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾<sup>(٢)</sup>. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً. وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وكان من دعاء زكريا عليه السلام طلب الذرية الصالحة حيث قال: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً. إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾<sup>(٤)</sup>.

وكان من دعاء عباد الرحمن أن قالوا: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة إبراهيم: الآية ٣٤.

(٢) سورة النحل: الآية ٧٢.

(٣) سورة النساء: الآية ١.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٣٨.

(٥) سورة الفرقان: الآية ٧٤.

وكان من دعاء المؤمن إذا بلغ أربعين سنة أن يقول: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دُرِّيَّتِي إِنَّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد جاء في سفر التكوين من التوراة قول الرب تعالى لآدم وحواء: «كونا مثمرين وتكاثرا على وجه الأرض»<sup>(٢)</sup>.

وقد حثَّ النبي محمد ﷺ أمته على أن يتناسلوا ويتكاثروا في أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ: (تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة)<sup>(٣)</sup>، وقال: (تناكحوا تناسلوا، فإني مباو بكم الأمم)<sup>(٤)</sup>.

وحدث ﷺ على الزواج لما فيه من المنافع الكثيرة وإحصان الفرج وطمأنينة النفس وحصول التوالد، فقد جعل المولى الزواج آية من آيات نعمته وفضله، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾<sup>(٥)</sup>.

وأمر سبحانه وتعالى بالنكاح حيث قال: ﴿وَأَنْكَحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ. إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٦)</sup>. والأيامى هم غير المتزوجين من الرجال والنساء سواء سبق لهم الزواج أم لم يسبق. وقد قال ﷺ: (النكاح سُنتي فمن أحب فطرتي فليستن بسنتي)<sup>(٧)</sup>.

(١) سورة الأحقاف: الآية ١٥.

(٢) سفر التكوين، الإصحاح الأول: ٢٧، ٢٨.

(٣) أخرجه أحمد وصححه ابن حبان. وهو بلفظ مقارب عند النسائي وأبي داود.

(٤) أخرجه البيهقي.

(٥) سورة الروم: الآية ٢١.

(٦) سورة النور: الآية ٣٢.

(٧) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما.

وأمر بتزويج الأكفاء فقال: (إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)<sup>(١)</sup>.

وأمر ﷺ الشباب بالزواج إذا قدروا على مؤنته حيث قال: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج. ومن لم يستطع فليصم فإن الصوم له وجاء)<sup>(٢)</sup>.

وقد نهى رسول الله ﷺ عن التبتل. قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: (لولا أن رسول الله ﷺ ردَّ على عثمان بن مظعون التبتل لاختصينا)<sup>(٣)</sup>. وقال ﷺ: (ليس منا من خصى أو اختصى)<sup>(٤)</sup>.

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً وفيما ألمحنا إليه غنية.

لهذا كله كان التناسل والتكاثر بواسطة الزواج المشروع أمر مهم في الدين.

وقد نذَّ القرآن الكريم بأولئك الذين يقتلون أولادهم سفهاً بغير علم، قال تعالى: ﴿قد خسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفْهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾<sup>(٥)</sup>، وشدَّد النكير على الذين يقتلون أولادهم من إملاق أو خشية إملاق، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ. نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾<sup>(٦)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ. نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾<sup>(٧)</sup>.

وشدَّد المولى سبحانه وتعالى النكير على الذين يحتقرون البنات ويبادرون إلى قتلهن ووأدهن خوف العار.

---

(١) أخرجه أبو داود والترمذي.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ومالك.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي.

(٤) أخرجه الطبراني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) سورة الأنعام: الآية ١٤٠.

(٦) سورة الأنعام: الآية ١٥١.

(٧) سورة الإسراء: الآية ٣١.

قال تعالى : ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ \* يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾<sup>(١)</sup> . وقال تعالى : ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾<sup>(٢)</sup> . وجاء في بيعة النساء : ﴿وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ﴾<sup>(٣)</sup> .

وجاء في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ قائلاً : أيُّ الذنب أعظم ؟ قال : ( أن تجعل لله نداً وهو خلقك ) ، قلت : ثم أي ؟ قال : ( أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك ) . « .

وها هي البشرية ترتكس اليوم إلى أسوأ مما كانت عليه الجاهلية فتقتل الأجنة والمواليد خوف الفقر أو بسبب الفقر وبسبب انتشار الزنا وولد الزنا .

وقد جاء في كتاب الدكتور جليهود «The Pill»<sup>(٤)</sup> أنه يتم قتل ٤٠ مليون جنين كل عام بواسطة الإجهاض المحدث (Induced Abortion) نصفهم على الأقل بصورة غير قانونية، (جنايئة إجرامية Criminal Abortion)، ويؤدي ذلك إلى وفاة مائتي ألف امرأة كل عام وإصابة مئات الآلاف بل الملايين من النساء بعاهاات وأمراض مختلفة نتيجة الإجهاض . وقد نشرت مجلة التايم الأمريكية أن حالات الإجهاض المحدث (أي الإجهاض المتعمد بدون سبب طبي) قد بلغت خمسين مليون جنين كل عام<sup>(٥)</sup> ، وأن عدداً كبيراً من النساء يعانين من أمراض وبيلة نتيجة الإجهاض ، وأن عدداً يُعدُّ بمئات الألوف منهن يلاقين حتفهن بسبب الإجهاض ومضاعفاته !!

كل هذا رغم الانتشار الواسع لوسائل منع الحمل التي يتم توزيعها في

(١) سورة النحل : الآيتان ٥٨ ، ٥٩ .

(٢) سورة التكويز : الآية ٨ ، ٩ .

(٣) سورة الممتحنة : الآية ١٢ .

(٤) Guillebaud J: The Pill, Oxford University Press, 1987:15. (٤)

(٥) التايم أغسطس ٦ لعام ١٩٨٤ .

كل مكان وبأرخص الأسعار وبدون رقابة طبيّة رغم ما يعتورُ بعضها من مضاعفات، وهذا كله بسبب خوف الفقر، وأن سكان العالم سيعانون من المجاعة بسبب كثرتهم وزيادتهم غير المنضبطة!! .

وتزداد هذه الدعوة عتوّاً وفجوراً في بلدان العالم الثالث الذي يعاني من التخلف، ومن الحكومات المتجيرة الدكتاتورية التي تسرق الأموال وتنفقها في خدمة الحكام أو في مشاريع جوفاء طنانة رنانة أو فيما هو أدهى وأمر، وهي الحروب بين تلك الدول أو الحروب الأهلية التي لا تبقي ولا تذر. . ونصيب المسلمين من هذه الحروب أوفر نصيب. فهناك الحرب بين المغرب والصحراء. . وهناك حرب السنغال وموريتانيا. . وهناك الحرب الأهلية المدمرة في الصومال والسودان. . وهناك ما فعله صدام المجرم الطاغية بشعب العراق حيث قام بحرب إيران أولاً ثم بحرب الكويت واحتلالها مما أدى إلى تحطيم العراق وتحطيم الكويت وأن تخسر الدول العربية في حرب الكويت فقط ما بين ٦٠٠ و ٨٠٠ ألف مليون دولار!! . ثم تعالَى بعد ذلك الصيحات بالويل والثبور وعظائم الأمور من الانفجار السكاني ومخاطره.

وقد أوضحْتُ في هذا الكتاب الذي بين يديك زيف هذه المقولة بالإحصائيات وأن كثرة السكان، كما يقول ابن خلدون في المقدمة وأدم سميث والتجاريون والفيزيوقراطيون، هي عاملٌ هامٌّ للرُّقي وللرفاهية.

يقول ابن خلدون في المقدمة «إنه ما توفر عمراناه في الأقطار وتعدّد الأمم في جهاته وكثر ساكنه اتسعت أحوال أهله وكثرت أموالهم وأمصارهم وعظمت دولتهم» . .

وناقشتُ نظرية توماس مالثوس القس الإنجليزي الذي زعم أن السكان يتكاثرون على هيئة متواليات هندسية (٢، ٤، ٨، ١٦)، بينما لا تزداد الموارد إلا على هيئة متواليات حسابية (١، ٢، ٣، ٤) وأنه نتيجة لذلك فإن المجاعة لا بد أن تكتنف البشرية ما لم يتم إيقاف التكاثر البشري عند حد معين، والغريب أن سكان بريطانيا عندما أعلن مالثوس نظريته عام ١٧٩٨ كانوا عشرة

ملايين . ولم يمض نصف قرن على تخرصات مالتوس حتى بلغ سكان بريطانيا عشرين مليوناً وبمرور أقل من قرن على تخرصاته (عام ١٨٨٢) كان سكان بريطانيا قد تجاوزوا الثلاثين مليوناً . . ولم تُصب بريطانيا بالمجاعة بل أصبحت سيده البحار، وأصبحت امبراطوريتها أعظم امبراطورية في الأرض وازدادت رفاهية السكان أضعاف أضعاف ما كان عليه الحال في وقت مالتوس . . واستمرت الزيادة في السكان في بريطانيا رغم استقلال مستعمراتها وصار سكانها أكثر من ستين مليوناً، ومع هذا فإن بريطانيا ترفل في رفاهية لم يحلم بها مالتوس . .

والولايات المتحدة كان سكانها عام ١٧٥٠ مليون شخص فقط . وبعد قرن واحد تضاعف سكانها بسبب الهجرة والتناسل ستة وعشرين مرة حيث بلغوا ٢٦ مليون نسمة، وبمرور قرن آخر (١٩٥٠) وصل سكانها إلى ١٦٦ مليون شخص وهم الآن يزيدون عن ٢٤٠ مليوناً . وهذا الزخم السكاني هو الذي حوّل هذه المستعمرة البريطانية إلى أعظم دولة في الأرض . .

وخيرات الأرض وفيرة وفيرة . . والإنتاج الغذائي بلغ حداً من الكثرة جعل الولايات المتحدة وأوروبا تحتار في كيفية التخلص من جبال القمح واللحوم والأجبان وبحيرات الألبان والأنبذة . . وتمّ إحراق الكثير منها حتى لا تنخفض الأسعار بينما يعاني الملايين من المجاعة في أفريقيا!! .

وتقوم السياسة الزراعية في البلاد المتقدمة على تشجيع المزارعين ومنتجي الغذاء أن يقللوا من إنتاجهم وتقوم الدولة بتعويضهم عن عدم زرع أراضيهم!!

وفي الكتاب شرح واف عن ثروات العالم الإسلامي الغذائية وأنها تكفي المسلمين وتفيض لو أحسن استغلالها . أما ثروات العالم العربي فهي تكفي لضعف سكان البلاد العربية لو تم استغلالها بطريقة علمية .

وأساس المشكلة هو في الأنظمة المهترئة المترهلة التي تعيش



كالتفيليات تمتص دماء الشعوب . . ثم تتعلل بعد ذلك بمشكلة الانفجار السكاني !! . وتذهب الثروات من الدول الفقيرة (الثانية) إلى الدول الغنية المتقدمة بنظام دقيق حيث تستغل الثروات وتذهب الخيرات لتجعل الغني يزداد غنى ولكي يتحول الفقير إلى المسغبة والمجاعة .

كتب في جلة ١٤/٢/١٤١٣هـ

١٢/٨/١٩٩٢م



الفصل الأول

الانفجار السكاني  
وقضية تحديد النسل



## الانفجار السكاني وقضية تحديد النسل

### نظرة تاريخية :

#### الأمم القديمة :

رغم أن التاريخ البشري عرف محاولات متعددة لتحديد النسل إلا أن الاتجاه العام لدى البشرية كان الحث على التناسل، واعتبار التناسل نعمة. ففي قوانين مانو الهندية القديمة تأكيد على أهمية الزواج والنسل، والشيء ذاته موجود لدى زرادشت في فارس. وفي مصر القديمة كان التناسل والتكاثر، ضمن الحياة الزوجية من الأشياء المقدسة.

وترى اليهودية أهمية التناسل وتحرم محاولة تحديد النسل، فقد جاء في التوراة، سفر التكوين، الإصحاح الأول ٢٧، ٢٨ قول الرب لأدم وحواء: «كونا مثمرين وتكاثرا على وجه الأرض».

وعندما قام أونان بن يهوذا بن يعقوب عليه السلام بالعزل وإلقاء مائه على الأرض عندما تزوج امرأة أخيه تامار حتى لا ينجب نسلًا لأخيه (حسب عقيدتهم التي يذكرون فيها أن الزوج إذا مات تزوج امرأته أقرب الناس إليه، فإن لم يكن للميت نسل يكون النسل الجديد منسوباً للميت)، غضب الرب حسب زعمهم وأمات أونان لأنه قام بجريمة العزل [سفر التكوين الإصحاح ٣٨: ٦ - ١٠].

أما النصرانية فقد كانت تعتبر الرهبة هي قمة الحياة الروحية وتنظر إلى الاتصال الجنسي، حتى في الزواج باعتباره نوعاً من الرجس، ولكن هذا الرجس يسمح به من أجل غرض التناسل. ثم مرّت مرحلة أخرى بالمسيحية اعتبرت التناسل واجباً دينياً، وإن أي تحديد للنسل يعتبر مصادماً للعقيدة

النصرانية [دائرة المعارف البريطانية، الطبعة ١٥، ١٩٨٢ المجلد ١٤ ص ٨١٨ وما بعدها]. واعتبرت الكنيسة تقديم اللذة الجنسية على غرض التوالد في الزواج نوعاً من الزنا [كما فعل راعي كنيسة كاتبريري]. وبصورة عامة كان الأوروبيون في العصور الوسطى وإلى القرن التاسع عشر يؤيدون بقوة حركة زيادة النسل، وكان الإجهاض يعاقب عليه في كثير من الأحيان بالإعدام والطرده من ملكوت الرب.

أما الإسلام فقد حثَّ على التناسل أيما حث، واعتبر نعمة الولد من أعظم المنن التي أنعم الله بها على العبد. قال الله تعالى: ﴿المالُ والبنونَ زينةُ الحياةِ الدُّنيا﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿يا أيُّها النَّاسُ اتَّقوا ربَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾<sup>(٣)</sup>.

والآيات الدالة على الحث على الزواج والتناسل كثيرة جداً.

قال تعالى: ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحينَ من عبادِكُمْ وإمائِكُمْ، إن يَكُونُوا فقراءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ من فضله، واللَّهُ واسعٌ عليمٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقد دعا الأنبياء عليهم السلام ربهم أن يرزقهم ذريةً صالحةً وكان من دعاء زكريا عليه السلام: ﴿قال ربِّ هَبْ لي من لدنك ذريةً طيبةً إنك سميعٌ الدعاء﴾<sup>(٥)</sup>.

---

(١) سورة الكهف: الآية ٤٦.

(٢) سورة النساء: الآية ١.

(٣) سورة النحل: الآية ٧٢.

(٤) سورة النور: الآية ٣٢.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٣٨.

ومن دعائه أيضاً: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدَعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا \* وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا \* يَرْتُدُّهُ وَسُورَتُهُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ، وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾<sup>(١)</sup>.

وكان من دعاء عباد الرحمن: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد وردت عن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه أحاديث كثيرة تحت على الزواج وعلى التناسل، منها قوله ﷺ: (النكاح سُنتي ومن رغب عن سُنتي فليس مني) [أخرجه الشيخان: البخاري ومسلم في صحيحهما]، وقوله صلوات الله وسلامه عليه: (تناكحوا تناسلوا، فإني مباهٍ بكم الأمم) [أخرجه أبو داود والبيهقي]، وقوله: (تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم) [أخرجه أبو داود والنسائي].

والأحاديث بعد ذلك كثيرة في هذا الصدد، ومع ذلك فقد وردت أحاديث صُحِّت عنه ﷺ أنه أباح العزل عن الأمة أثناء الحرب ولغير ذلك من الأسباب، منها:

«عن جابر رضي الله عنه قال: كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ والقرآن ينزل» [أخرجه البخاري ومسلم، وزاد مسلم: فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فلم ينهنا]. وعن جابر أيضاً أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: إن لي جارية هي خادمتنا وساقيتنا [وفي رواية سانيتنا وهو بمعناه]، وأنا أطوف عليها وأنا أكره أن تحمل فقال: (اعزل عنها إن شئت فإنه سيأتيها ما قُدِّرَ لها)، فلبث الرجل ثم أتاه فقال: إن الجارية قد حملت فقال: (قد أخبرتك أنه سيأتيها ما قُدِّرَ لها) [رواه مسلم وابن ماجه وأحمد والدارمي]. وعن جابر رضي الله عنه أيضاً أنه

(١) سورة مريم: الآيات ٤ - ٦.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٧٤.

قال: «قلنا يا رسول الله كنا نعزل فزعمت اليهود أنه المؤودة الصغرى فقال: (كذبت اليهود، إن الله إذا أراد خلقه لم يمنعه) وفي رواية (إذا أراد الله خلقه لم تستطع ردة)» [أخرجه الترمذي وأبو داود]. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة بني المصطلق فسينا كرائم العرب فطالت علينا العزبة ورغبنا في الفداء، فأردنا أن نستمتع ونعزل، فقلنا نفعل ورسول الله بين أظهرنا لا نسأله، فسألنا رسول الله فقال: (لا عليكم ألا تفعلوا: ما كتب الله خلق نسمة هي كائنة إلى يوم القيامة إلا ستكون) [أخرجه البخاري ومسلم وابن ماجه والدارمي وأحمد].

وهناك أحاديث يفهم منها كراهية العزل، وقد أباح أصحاب المذاهب الأربعة من أهل السنة، العزل عن الأمة برضاها وبدون رضاها، وأباحوا العزل عن الزوجة الحرّة برضاها لأنّها حقاً في الولد، إلا أن بعضهم أباح العزل ولو بدون رضاها عند فساد الزمان أو سوء خلق الزوجة. . وهناك من الفقهاء من يحرمّ العزل وهم الظاهرية من أمثال الإمام داود الظاهري وابن حزم.

والشيعية في مذاهبهم أقرب إلى أقوال المذاهب الأربعة الشافعية والحنفية والحنبلي والمالكي.

وخلاصة القول أن أمم الأرض قاطبة تمجد النسل والتناسل في الزواج. . وتعتبر النصرانية من أشد الأديان معاداة لتحديد النسل حيث كانت تحكم بالإعدام لكل من يشترك في عملية الإجهاض حتى القرن السابع عشر الميلادي، وتعتبر كل وسيلة من وسائل منع الحمل محرّمة.

ورغم ذلك كله إلا أن هناك من دعا إلى تنظيم النسل وتحديد من الأمم السابقة فقد تحدث كونفوشيوس في الصين القديمة عن العدد المثالي للسكان، واعتبر الزيادة غير المنضبطة في السكان كالتقص فيه [دائرة المعارف البريطانية الطبعة ١٥، ١٩٨٢ ج ١٤: ٨١٨].

وتحدّث المشرّع والقانوني اليوناني سبارتان ليكورجاس (Spartan Lycurgas) عن العدد الأمثل لسكان اليونان. ووافق على ذلك هيبوداموس



[القرن الخامس قبل الميلاد] وأفلاطون [القرن الرابع قبل الميلاد]، الذي نادى في كتابه المشهور «الجمهورية» بتحديد سكان اليونان بـ ٥٠٤٠ شخصاً فقط .

وكان يرى أن على الدولة أن تشجع الزواج والتناسل والتجنيس إذا نقص العدد، وأن ترفع سن الزواج وتحدّ من التناسل عند الزيادة في العدد. أما أرسطو فلم يحدد عدداً محدداً للسكان وكان أكثر واقعية من أستاذه .

ولم تلقَ هذه الدعوات أذاناً صاغية إذ كان الحكام، في معظم الأحيان، يشجّعون بقوة على كثرة التناسل لحاجتهم إلى المقاتلين والعمال والصناع المهرة والمزارعين، وعلى سبيل المثال أصدر الإمبراطور أوجستوس (Augustus) قوانين عديدة لتشجيع الزواج والتناسل وإعطاء منح للأسر ذات الأطفال .

### ابن خلدون ومسألة السكان :

لقد ناقش ابن خلدون في المقدمة مسألة السكان وربط ذلك بحركة العمران وتكوين الدول، كما ناقش المشاكل الاقتصادية الناجمة عن قلة السكان وكثرتهم، وكانت نظرتهم لصالح زيادة السكان وعدم تحديد النسل لأن زيادة السكان هي أساس الرفاهية والقوة الاقتصادية والعسكرية [انظر المقدمة ص ٣٦٠ وما بعدها فصل : في أن تفاضل الأمصار والمدن في كثرة الرفه والرزق لأهلها ونفاق الأسواق، إنما هو في تفاضل عمرانها في الكثرة والقلة] .

وخلاصة رأي ابن خلدون أن زيادة السكان تؤدي إلى زيادة الأعمال وتنوعها، وبالتالي زيادة العمران، وهو نفس ما توصلت إليه النظريات الحديثة في السكان .

ويوضح ابن خلدون هذه الخلاصة بقوله : «إن ما توفّر عمرانها في الأقطار وتعدد الأمم في جهاته وكثر ساكنه اتسعت أحوالُ أهله وكثرت أموالهم وأمصارهم وعظمت دولتهم» . ويقول : «واعلم أن اتساع الأحوال وكثرة النعم في العمران تابع لكثرتهم» (أي لكثرة عدد سكانه) .

## التجارىون فى أوروبا يتبنون آراء ابن خلدون فى قضية السكان :

لقد وجدت آراء ابن خلدون تأييداً قوياً من أوروبا فى عصر الترجمة،  
وأيدها بقوة التجارىون [أى أصحاب المذهب التجارى الحر].

وقد شهدت القرون الميلاية : السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر  
قيام دول قوية فى أوروبا مع وجود حركة تجارية نشطة متنامية ، وفى تلك الفترة  
تم اكتشاف القارات الجديدة : الأمريكيتين وأستراليا بالإضافة إلى العديد من  
البلدان ، ودار فاسكو داجاما حول رأس الرجاء الصالح<sup>(١)</sup> واكتشف كولومبوس  
جزر الهند الغربية ومن ثم الأمريكيتين واكتشف الكابتن كوك أستراليا  
ونيوزلندة .

وشهدت هذه القرون زخم الزيادة المتتالية فى سكان دول أوروبا مما  
أدت إلى انطلاق المارد الأوروبى ليُحكَم قبضته حول العالم ويستغل ثرواته  
لصالحه إلى اليوم .

وكانت هذه الزيادة المضطربة فى سكان أوروبا هي التي هيأت لسيطرة  
الرجل الأوروبى على مقدرات الشعوب وعلى استيطان القارتين الأمريكيتين  
وقارة أستراليا ونيوزيلندة وإبادة سكانها الأصليين .

لهذا كله كانت أوروبا تنتهج سياسة زيادة النسل بدون حدود طوال هذه  
القرون الثلاثة ، وعندما بدأت الثورة الصناعية تظهر وبدأت معها مشاكل هجرة  
السكان من الريف إلى المدينة بدأ بعض الأفراد يفكرون بطريقة مغايرة ، رغم  
أن اتجاه الرأي العام والحكومات والكنيسة كان فى اتجاه الزيادة فى السكان  
بدون حدود وتشجيع التناسل على أوسع نطاق .

---

(١) بمساعدة أمير البحر العربى أحمد بن ماجد السعدي [انظر كتاب المعرفة : البحار  
والمحيطات ص ٦٩].

## الفيزيوقراطيون ومسألة السكان :

ظهر الفيزيوقراطيون (Physiocrats) في النصف الثاني من القرن الثامن عشر في فرنسا وإنجلترا، وكان من أبرز علمائهم آدم سميث ومالتس وميل ستوارت ودي لاريقيير الذين كانوا يدعون الدولة إلى أن ترفع يدها وتدخّلها في شؤون التجارة والاقتصاد، وأن تترك الدولة عوامل السوق الطبيعية لتحديد مسار الاقتصاد والتجارة. . وكان هؤلاء يمثلون الطبقة الرأسمالية الجديدة التي كانت تريد أن تتخلص من أية عوائق يفرضها النظام السابق المتمثل في الملكية والطبقة الأرستقراطية وأن تتحكم في نظام الاقتصاد باسم ما يسمّى «الاقتصاد الحر». وكان رأي هؤلاء بالنسبة لمسألة السكان هو ترك القوى الطبيعية تنظم نفسها دون تدخل من الدولة أو الأفراد. وكانوا يعلنون دوماً أن العوامل الطبيعية كفيلة بتنظيم أمور البشر وأن البشر يفسدون أيما إفساد بتدخلهم في قوانين الطبيعة، ولذا كانوا يميلون بقوة إلى زيادة السكان التي يعتقدون أنها تساهم في رخاء البشرية.

## المalthوسية ومسألة السكان :

يعتبر توماس روبرت مالثوس القسيس الإنجليزي (١٧٦٦ - ١٨٣٤م)<sup>(١)</sup> أول من أشار الفزع من احتمال التزايد السكاني بدون حدود، لأن السكان يزيدون بصورة متواليات هندسية (٢، ٤، ٨، ١٦، ٣٢) بينما لا تزيد الموارد إلا على هيئة متواليات حسابية (١، ٢، ٣، ٤، ٥) . . ولهذا فإن السكان حسب رأيه سيتضاعفون كل ٢٥ سنة بينما لن تزداد الموارد إلا بنسبة محددة في

---

(١) ولد توماس مالثوس في إنجلترا (منطقة ساري) ودرس في كلية المسيح في كامبردج وتخرج كرجل دين ذي ميول اقتصادية، وصار زميلاً في نفس الكلية ودرّس فيها منذ عام ١٧٩٣. وفي عام ١٨٠٥ أصبح أستاذاً لمادة التاريخ والاقتصاد السياسي في كلية هيل بري (Hail bury) حتى وفاته. اشتهرت مقاله عن تزايد السكان [١٧٩٨] وله كتاب بعنوان «مبادئ الاقتصاد السياسي: نظرة واقعية للتطبيق».

هذه الفترة (٩ بالمئة فقط) ولهذا فإن مالثوس يرى أنه إذا لم تكن هناك عوائق أمام ازدياد السكان، فإنه لا بد أن يأتي يوم لا تف فيه الموارد بحاجات البشر.

وقد وضع مالثوس نظريته هذه في مقالة نشرها عام ١٧٩٨ بعنوان «تزايد السكان وأثره في تقدم المجتمع في المستقبل» وقد أثارت هذه المقالة ضجة كبرى وساعدتها الظروف لتكون حجر الزاوية لنظرية جديدة يلتف حولها الأنصار.

وكان مالثوس يرى أنه لا بد من إيجاد عوائق لهذا النمو المضطرد في السكان، وقسّم مالثوس هذه العوائق إلى نوعين: عوائق وقائية (Preventive checks) وعوائق إيجابية (Positive checks)، والعوائق الإيجابية هي الحروب والمجاعات والأوبئة. . وهذه جميعها ينبغي على الإنسان المتحضر أن يتجنبها ويقلل منها قدر الإمكان.

أما العوائق الوقائية فهي تنقسم عنده أيضاً إلى قسمين: قسم أخلاقي وهو الرهينة [الامتناع عن الزواج] وتأخير سن الزواج والامتناع الطوعي عن مباشرة الزوجة فترة من الزمن، وقد حَبَدَ مالثوس هذه الطريقة واعتبرها أخلاقية، وهو أمر ليس غريباً على رجل ثقافته الأصلية كنسية.

والقسم الثاني هو لا أخلاقي ويتمثل في استعمال وسائل منع الحمل والإجهاض، وقد رفضها مالثوس وشنَّ عليها حملة شرسة، ولكن الغريب حقاً أن جميع الروابط المalthوسية التي تكونت بعد وفاته والتي تحاول الانتساب إليه، تدعو بقوة إلى استخدام وسائل منع الحمل وإلى إباحة الإجهاض وإلى التعقيم. . وهي وسائل نذدُّ بها مالثوس نفسه أيما تنديد.

وهكذا ارتبط اسم مالثوس بحركات تهدم كل ما كان يدعو إليه مالثوس من التزام العِفَّة ومحاربة وسائل منع الحمل التي اعتبرها مالثوس وسيلة من وسائل نشر الدعارة والفجور، كما ارتبط اسم مالثوس بالحركات التي تدعو إلى الإجهاض الذي اعتبره مالثوس جريمة قتل مع سبق الإصرار والترصد والتي

يرى أن عقوبتها كما كانت تفرضها الكنيسة، أي الإعدام لكل من شارك في هذه الجريمة الشنعاء.

### نظرة الاشتراكيين في مسألة السكان :

إذا كان مalthus يرى أن الموارد البشرية محدودة بينما نمو الأعداد البشرية غير محدود، وأن فقر الفقراء ليس إلا نتيجة حتمية لكسلهم وعجزهم وبلادتهم، فإن الاشتراكيين بمذاهبهم المختلفة كانوا يرون أن الموارد المتاحة على الأرض كافية مهما زاد عدد السكان، وأن سبب الأزمات والفقر هو الجشع والاستغلال والنظام الرأسمالي الكمبرادوري<sup>(١)</sup> الذي يستغل حاجات الملايين في سبيل تكديس الثروة لدى حفنة من اللصوص الأذكياء الذين يعرفون كيف يمتصون دماء الأبرياء.

إن مشكلة زيادة السكان لا وجود لها عند الاشتراكيين القدامى، وهي في نظرهم ناتجة عن شحور النظام الاقتصادي الرأسمالي، أما في النظام الاشتراكي فإن البطالة لا يمكن أن توجد. . والغريب حقاً هو أن يتغير موقف الدول الاشتراكية وأن تكون روسيا أول دولة تبيح الإجهاض دون أي عائق [١٩٢٠]. . كما إن الصين الشعبية هي الدولة الوحيدة في العالم التي تفرض على الزوجين أن لا ينجبا سوى طفل واحد فقط [تمّ تعديل هذا القانون الجائر وسمحت الدولة، لكل أسرة بطفلين فقط]. وكذلك تحوّل الاشتراكيون الديمقراطيون في أوروبا إلى التمسك بسياسة تنظيم الأسرة وتحديد النسل وإباحة الإجهاض، على الرغم من أن التيار الاشتراكي العام كان ميّالاً على الدوام إلى عدم تحديد النسل، وإلى أن قوى الإنتاج تستطيع أن تطعم السكان مهما زاد عددهم إذا تم استغلال الموارد المتاحة استغلالاً حسناً.

وتعتبر الدول الاشتراكية وبالذات الصين من الدول التي تستخدم كافة

---

(١) الكومبرادور (Comprador) هو وكيل أو وسيط بين صاحب المصنع والتاجر، وفي الأصل هو عميل صيني للرأسمالي الأوروبي يجلب له العمال الصينيين ويشغلهم.

وسائل تحديد النسل بما في ذلك قتل المولودين وقتل الأجنة والتعقيم ووسائل منع الحمل ذات الأضرار الكثيرة والتي تمنعها الدول الأخرى . . وهو موقف مناقض تمام المناقض لما تدعيه الاشتراكية .

فرانسييس بلاس (Francis Place) وجيرمان بيتشان

والدعوة لاستخدام وسائل منع الحمل :

قام النقابي والسياسي الإنجليزي فرانسييس بلاس بعد أن نشر مالثوس مقاله الشهير «تزايد السكان وأثره في تقدم المجتمع في المستقبل» عام ١٧٩٨ بتلقّف الفكرة والدعوة إليها إلا أنه رفض الطريقة الرهبانية التي دعا إليها مالثوس وسخر منها وقال أنها لا تصلح إلا لحفنة محدودة من رهبان الكنائس . . ونشر كتاباً في هذا الموضوع بعنوان : «توضيحات وأدلة على مسألة السكان» (Illustrations and Proofs of the Principle of Population) .

وتابعه في ذلك الفيلسوف والاقتصادي والقانوني جيرمين بيتشان (Jermin Benthan)، وقد اعتبر أن طريقة مالثوس في الحد من السكان ستؤدي حتماً إلى انتشار الرذيلة بسبب تأخير سن الزواج أو الامتناع عنه البتة . وكانا يدعوان إلى الزواج المبكر مع استعمال كل وسائل منع الحمل المتاحة في زمنهم بشرط أن لا يؤثر ذلك على صحة المرأة أو رقتها أو أنوثتها<sup>(١)</sup> ونشر بيتشان عدة كتب في قضية السكان والقضايا الاقتصادية المتعلقة بها، من أشهرها كتاب «قواعد الأخلاق والتشريع» الذي صدر عام ١٧٨٩ .

ثم تتابع ظهور أنصار تحديد النسل ففي عام ١٨٣١ ظهر كتاب روبرت أوين (Robert Owen) «علم وظائف الأعضاء الأخلاقي» (Moral Physiology) وتبعه في العام الذي يليه [١٨٣٢] كتاب ثمرات الفلسفة (Fruits of Philosophy) لنتشارلز نولتون (Charles Knowlton)، وقام الطبيب

---

(١) دائرة المعارف البريطانية ١٩٨٢، الطبعة ١٥، المجلد ٤ : ١٠٦٥ .

البريطاني جورج دريسدل (George Drysdale) بتكوين جماعة «الفكر الحر» عام ١٨٦٠ التي تدعو إلى استعمال وسائل تحديد النسل، وانضمت إليه آني بيسانت (Annie Besant)<sup>(١)</sup> هي وعشيقتها شارلز برادلو (C. Bradlaugh) وقام الأخيران بإعادة طبع ونشر كتاب «ثمرات الفلسفة».

### أنصار تحديد النسل يخوضون المعارك :

لقد وقفت الدول الغربية [أوروبا والولايات المتحدة] موقفاً معارضاً لدعوة تحديد النسل، ورغم أن مالثوس كان معارضاً لجميع وسائل منع الحمل (ما عدا الامتناع عن غشيان الزوجة والرهينة) إلا أن أنصاره أو الذين تسموا باسمه، دعوا إلى استخدام كافة وسائل منع الحمل وتحديد النسل بما في ذلك قتل الأجنة.

ولم تكن الدول الغربية تسمح بنشر أي كتاب يذكر وسائل منع الحمل، وعندما ظهر كتاب «علم وظائف الأعضاء الأخلاقي» (Moral Physiology) لروبرت أوين عام ١٨٣١ والذي ذكر فيه وسائل منع الحمل المعروفة في عصره، أثار الكتاب ردود فعل قوية، وفي العام التالي [١٨٣٢] قام شارلس نولتون بنشر كتابه الذي أسماه «ثمرات الفلسفة» ووضع له عنواناً جانبيّاً هو «الرفيق الخاص للمتزوجين من الشباب» وذكر فيه وسائل منع الحمل التي ينبغي على الزوجين الشابين أن يعرفاها حسب قوله، وقد أثار الكتاب ضجة كبرى واعتبر أداةً للفساد الأخلاقي والأدب الإباحي، كما أن المحكمة حكمت بحبس نولتون لفترة قصيرة لنشره وسائل منع الحمل على الملأ وتشجيعه المتزوجين على استخدامها. وقامت محكمة في بريستول بحبس ناشر آخر

---

(١) آني بيسانت ولدت في لندن ١٨٤٧ وتوفيت في الهند عام ١٩٣٣، تزوجت من رجل دين إنجليكاني ولكنها تركته لتعيش مع عشيقها برادلو الملحد الوجودي. وكانت من الداعيات بقوة إلى استعمال وسائل منع الحمل وحرية المرأة. وذهبت إلى الهند وتركت النصرانية واعتنقت الديانة الهندوكية [دائرة المعارف البريطانية ج ١: ١٠٢٣، ١٠٢٤].

لأنه أعاد طبع كتاب ثمرات الفلسفة عام ١٨٧٦ . وكان الأطباء بصورة خاصة من أشد الناس معارضة لنشر وسائل منع الحمل، وعلى سبيل المثال كان المجلس الطبي البريطاني يهاجم بشدة أولئك الذين يسعون إلى نشر وسائل منع الحمل وإيقاف الذرية . وقد علقت مجلة اللانست الطبية المشهورة في حينه [١٨٧٢] على ذلك بقولها: «نحن نرى أن هذه الوسائل [أي وسائل منع الحمل] التي لا نريد أن نذكرها لحقارتها، لا تستحق أن تكون موضوعاً للمناقشة، ولا يوجد سوى عدد ضئيل من الأطباء يريد أو يهتم بمناقشة هذا الموضوع» .

واعتبر المجلس الطبي البريطاني أن الذين يروجون لوسائل منع الحمل، إنما يروجون في الواقع للدعارة والمخاتلة الجنسية كما أن استخدام وسائل منع الحمل يسبب الانهيار العصبي وزيادة كبيرة في الأمراض التناسلية والسرطان والجنون والانتحار والتحلل الأخلاقي والفكري للأمة بالإضافة إلى الأمراض الجسمانية المذكورة:

[Potts and Diggory: Textbook of Contraceptive Practice, Cambridge University Press, 1983: 1 - 16].

وفي عام ١٨٨٧ شُطب اسم الدكتور آرثر ألبوت من سجل الأطباء في بريطانيا ومنع من مواولة المهنة لأنه نشر كتاباً سماه «كتاب اليد للزوجة» وفيه فصل عن وسائل منع الحمل .

وفي الولايات المتحدة ظهر أنتوني كومستوك كأحد أشهر الدعاة لمحاربة وسائل منع الحمل باعتبارها وسيلة لنشر الفساد الأخلاقي والدعارة، وكان كومستوك يرأس «جمعية محاربة الرذيلة» وعضواً في الكونجرس الأمريكي . . وقد استطاع أن يصدر قوانين تمنع نشر أي وسيلة من وسائل منع الحمل بأي شكل من الأشكال عام ١٨٧٣ . وكان كومستوك يقول: «إنك إذا فتحت الباب، ولو موارد، فإن القاذورات سرعان ما ستدخل منه، وسيتبعها التحلل الأخلاقي لشباب هذه الأمة» .



ورغم كل هذه الحملات القوية من الأطباء ورجال الدين ورجال القانون إلا أن دعاة تحديد النسل ونشر وسائل منع الحمل لم يأسوا، وظلوا يثابرون على نشر دعوتهم، وساعدتهم في ذلك تغييرات ديموجرافية رهيبه حدثت في أوروبا. وكانت الثورة الصناعية تشهد زخم قوتها وتقوّص المجتمعات الزراعية القديمة . . وأدّى ذلك إلى نزوح الملايين من الأرياف إلى المدن . . وتحولّ عبيد الأرض السابقين إلى عبيد للسيد الجديد صاحب المصنع ورأس المال، وكان أغلب هؤلاء في بؤس شديد واعتورتهم الأمراض، وتمزق شمل الأسرة، وخرجت المرأة للعمل بحثاً عن لقمة العيش بعد أن ذهب كافلها إلى المدينة ولم يعد، واضطر الأطفال للعمل في المصانع ومات الآلاف من العمال من المسغبة ومن الأمراض وتحت الآلات الحديدية التي لم يعرفوا حتى كيفية استخدامها . . وظهر مجموعة من ذوي الأقلام الحيّة من أمثال تشارلز ديكنز الذي ندد في قصصه باستغلال الأطفال في المصانع وأعمال السخرة .

وظهرت الحاجة ماسة وشديدة لاستخدام وسائل منع الحمل . . فالمرأة التي هجرت بيتها في الريف بحثاً عن عمل، ولم يعد لها عائل كانت مضطرة لاستخدام وسائل منع الحمل أو الإجهاض إذا هي استجابت لنداء صاحب العمل أو سماسرته وإلا فالجوع والتشرد والموت في عرض الطريق هو مصيرها كما هو مصير الآلاف من بنات جنسها .

[Lin Farley: The Sexual Harrassment of Women on the Job, 1978 Warner Books].

وشهدت بريطانيا ومعظم دول أوروبا انخفاضاً في نسبة زيادة المواليد في أواخر القرن التاسع عشر وبداية العشرين [١٨٧٠ - ١٩٢٠] بعد فترة الزخم في الانطلاق السكاني . ويرجع السبب في ذلك إلى انتشار الإجهاض [لم يكن مسموحاً به آنذاك ولذا كان يدعى الإجهاض الإجرامي Criminal Abortion] بصورة ذريعة، ولم يكن الإجهاض مسؤولاً عن انخفاض نسبة المواليد فحسب

ولكنه كان أيضاً مسؤولاً عن وفاة عدد كبير من النسوة، وأعداد أكبر من الأمراض الخطيرة التي كانت تمتورهن بسبب ممارسة الإجهاض [Potts and Diggory: Textbook of Contraceptive Practice. 1983. pp 1 - 16].

لهذا كله كانت الحاجة والواقع الاقتصادي والاجتماعي الجديد هي التي تفرض البحث عن وسائل منع الحمل والسماح باستخدامها. وقد أدى ذلك كله إلى انتشار الروابط المalthوسية التي تدعو بقوة وصراحة إلى استخدام وسائل منع الحمل، في بريطانيا وألمانيا وفرنسا وهولندا. وبحلول عام ١٩٠٠ تجمعت الروابط المalthوسية لتحديد النسل مكونة «الاتحاد العالمي للتناسل الإنساني».

وجاءت الحرب العالمية الأولى [١٩١٤ - ١٩١٨] فهزت ما بقي من القيم الأخلاقية القديمة، ودفعت ظروف الحرب القاهرة بملايين النساء اللاتي لم يكن قد انخرطن في سلك العمالة إلى ترك بيوتهن والانخراط في ميدان الخدمة العامة والعمالة.

وأدت الظروف الجديدة إلى تقبل فكرة منع الحمل بصورة تدريجية، وظهرت مارجريت سانجر الممرضة التي دعمتها أموال يهود لإقامة حركة قوية تنادي بحرية المرأة وحرية استخدام جميع وسائل منع الحمل. . وفي عام ١٩١٦ فتحت أول عيادة لمنع الحمل في الولايات المتحدة، ولكن البوليس قام بإقفال هذه العيادة وأدين في المحكمة، ولكن أموال اليهود دفعتها لاستئناف الحكم. . واستطاعت أن تكسب القضية.

وفي نفس الفترة ظهرت ممرضة أخرى تدعى ماري ويردينيت أيضاً في الولايات المتحدة، وفي بريطانيا قامت ماري ستوبس (Mary Stopes) بنشر كتاب «الحب الزوجي» الذي ضمنته وسائل منع الحمل عام ١٩١٨ ثم أتبعته بكتاب «الوالدية المسؤولة»، وفي عام ١٩٢١ افتتحت أول عيادة مجانية لتعليم وسائل منع الحمل للنساء الفقيرات، وفي العام الذي يليه كونت جمعية تحديد النسل وتقدم الجنس البشري.

وعندما ظهر كتاب أليس «دراسات في سيكولوجية الجنس» في العقد

الأول من القرن العشرين أُطلق عليه لقب ماخور وبيت دعارة وكتاب بذيء مليء بالدعوة إلى الرذيلة. . . إلخ ولكن هذا الكتاب نفسه أصبح إنجيلاً يتلى في كل بيت والمرجع الأول لشؤون الجنس ووسائل منع الحمل خلال العقد الثاني والثالث للقرن العشرين.

وهكذا تغيّرت نظرة المجتمع تدريجياً إلى وسائل منع الحمل بسبب التغيرات العنيفة التي حدثت في المجتمعات الغربية التي أحدثتها الثورة الصناعية ثم الحرب العالمية، ورغم ذلك فقد ظل القانون البريطاني يعتبر استخدام وسائل منع الحمل أمراً موازياً للدعارة والرذيلة حتى عام ١٩٢٦، وفي عام ١٩٣٠ وافق وزير الصحة البريطاني على أن يقوم الأطباء بإعطاء نصائح للزوجات فقط عن وسائل منع الحمل، إذا كان هناك ما يدعو لذلك من الناحية الطبية. وفي تلك السنة تكوّن المجلس الوطني لتحديد النسل (في بريطانيا) ولكنه واجه معارضة قوية من الأطباء ورجال الدين ورجال القانون، والغريب حقاً أن المجالات الطبية المشهورة مثل اللانست و (BMJ) كانت تشن الحملات المتتالية على جميع وسائل منع الحمل وترفض أي مقال أو إعلان يدعو أو يوضح أي وسيلة من وسائل منع الحمل حتى عام ١٩٣٢، كما أن كليات الطب كانت تمنع أية محاضرة عن وسائل منع الحمل لطلبتها.

وفي عام ١٩٤٢ قامت مارجريت سانجر ومن وراءها بتكوين اتحاد تنظيم الوالدية في أمريكا، وفي عام ١٩٥٢ انعقد أول اجتماع عالمي لتنظيم الوالدية واشترك فيه مندوبون عن ٢٣ قطراً [رغم معارضة حكوماتهم]، وبحلول عام ١٩٦٤ تكوّن اتحاد تنظيم الوالدية العالمي ووجد دعماً متزايداً وأموالاً ضخمة من مصادر متعددة مكنته من عقد العديد من المؤتمرات الإقليمية، وأصبح الاتحاد له صلات قوية بجميع منظمات الأمم المتحدة ويتلقى دعمها المباشر، كما أنه صار المستشار الأول في موضوع السكان لهذه المنظمات الدولية المحترمة، وانتشر نطاق هذه الاتحادات في مختلف أقطار العالم وتبنت مختلف الدول وخاصة في العالم الثالث سياسة نشر وسائل منع الحمل بدعم

كامل وقوي من الولايات المتحدة ودول أوروبا الغربية ومنظمات الأمم المتحدة المختلفة .

وقامت بعض دول العالم الثالث بانتهاك أبسط حقوق الإنسان حيث فرضت وسائل التعقيم قسراً ومنعت النسل بقوة القانون . وقامت الحكومة الهندية في عهد أنديرا غاندي [١٩٦٦ - ١٩٧١] بتعقيم ملايين الرجال والنساء بالقوة، وبدعم كامل من الأمم المتحدة والولايات المتحدة والدول الغربية . . وهو موقف غريب مناقض لأبسط حقوق الإنسان التي تدعي تلك الدول أنها تحافظ عليه .

وكان الموقف في الصين أشد وأعتى، حيث قام ماوتسي تونج في إبّان الثورة الثقافية بتعقيم الملايين من الرجال والنساء قسراً، وبإعطائهم العقاقير السامة الضارة والتي لم يكن لها من ميزة سوى أنها تسبب العقم!! [يا لها من ميزة]، ولم يكنف بذلك كله، بل أمر كل أسرة أن لا يكون لها سوى طفل واحد فقط . . وقد حدث نتيجة لذلك القانون الهمجي الدكتاتوري أمر مشين وفظيع . . وهو أن يقوم ربُّ الأسرة بقتل المولودة إذا كانت أنثى لأن الدولة لن تسمح لزوجته بالحمل مرة أخرى . . وتم قتل مئات الآلاف من مؤرّذات العصر الحديث .

والمؤلم حقاً أن الأمم المتحدة والولايات المتحدة ودول أوروبا الغربية التي تتشدد بحقوق الإنسان والحضارة، كانت تؤيد ماوتسي تونج في سياسته الإجرامية تلك .

وكما تقول دائرة المعارف البريطانية [الطبعة ١٥ العام ١٩٨٢، ج ٢: ١٠٦٥] فإن كثيراً من الدارسين ورجال الفكر وأصحاب السياسة في الغرب كانوا يؤيدون أن تقوم الحكومات في العالم الثالث بحملات تعقيم واسعة للجماهير المتخلفة!! وذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك حيث يرى أن على الحكومات في العالم الثالث أن تتخذ موقفاً متشدداً وتفرض منع الحمل بكافة الوسائل حتى لو اضطرت لاستخدام القوة والإجبار والإكراه وإباحة

الإجهاض وقتل الأجنّة بل وقتل المواليد!! يا للهول!! وكل ذلك من أجل  
حماية البشرية من الانفجار السكاني ومواجهة المجاعات!!

وتعترف دائرة المعارف البريطانية بأن هاتين الوسيلتين لا أخلاقيتين  
ويعارضها كثيرٌ من ذوي الضمائر الحية في البلاد الأوروبية وأنه لا بدّ من  
استعمال الإقناع والتعليم وجميع وسائل الإعلام . . وأن عملية الإجبار والإكراه  
سيكون لها عواقب عكسية وخيمة بالإضافة إلى كونها منافية للأخلاق .

وخلاصة القول أن الدعوة إلى تحديد النسل دعوة فرضتها على أوروبا  
والولايات المتحدة وغيرها من الدول الصناعية ما أحدثته الثورة الصناعية من  
تغييرات في المجتمعات ، وما أضافته ويلات الحرب العالمية الأولى والثانية وما  
أدت إليه من تمزق الأسرة وخروج المرأة إلى ميدان العمالة . . وليس لهذه  
الدعوة أي علاقة بنظريات مalthوس عن الانفجار السكاني وتخالف ما كان يدعو  
إليه مalthوس من التزام العفة ومحاربة وسائل تحديد النسل جميعها ما عدا  
أسلوب الرهبة واعتزال الزوجة .





## الفصل الثاني

### نظريات مالثوس تصادم الواقع





## نظريات مalthوس تصادم الواقع

تزعم نظرية مالتوس (القس الإنجليزي) التي قدمها عام ١٧٩٨، أن السكان يزدادون على هيئة متواليات هندسية [٢، ٤، ٨، ١٦، ٣٢] بينما لا تزداد الموارد إلا على هيئة متواليات حسابية [١، ٢، ٣، ٤، ٥].. وهكذا تزداد الفجوة اتساعاً بين عدد السكان وبين الموارد فلا تعود تكفي، فيؤدي ذلك إلى المجاعات المرعبة والأوبئة الفظيعة والحروب المدمرة. وإذا أردنا أن نجنب الإنسانية هذا المنزلق الخطير فإن علينا أن نتخذ التدابير الوقائية وذلك بتحديد السكان.

وكان مالتوس يرى أن تحديد السكان يجب أن يتم بنشر نظام الرهينة والامتناع عن غشيان الزوجة طواعية لفترة من الزمن، ورفع سن الزواج.. وكان من أشد المعارضين لوسائل تحديد النسل الأخرى مثل وسائل منع الحمل والإجهاض، فقد كان يرى أن وسائل منع الحمل أداة لنشر الرذيلة ووسيلة من وسائل الدعارة، بينما الإجهاض جريمة قتل بشعة تستحق أن يُعدم مرتكبها، من وجهة نظره.

وكما هو متوقع فإن أنصار مالتوس هم أول من سخر من أسلوبه ذلك لتحديد السكان.. وكان النقابي والسياسي البريطاني فرانسيس بلاس من أول المؤيدين لفكرة مالتوس حول مخاطر التزايد السكاني بدون حدود، ولكنه سخر من اقتراحات مالتوس التي تدعو إلى الرهينة. واعتبر فرانسيس بلاس وصديقه الفيلسوف والاقتصادي جيرمي بينثان آراء مالتوس غير عملية ولا واقعية، بل هي نكبة على الأخلاق والفضيلة والعفة. وإذا كانت الرهينة تصلح لقلّة من

الأفراد فإنها لا تصلح لأغلبية البشر لأنها تضادُّ الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وأن منع الزواج أو تأخيره سيؤدِّيان حتماً إلى انتشار الزنا والرذيلة، ولن يمنعا بالتالي زيادة السكان . . ولذا فقد كانا يدعوان إلى الزواج المبكر مع استعمال كل وسائل منع الحمل المتاحة، بشرط أن لا تؤثر على صحة المرأة أورتها وأنوثتها. [دائرة المعارف البريطانية، الطبعة ١٥ لعام ١٩٨٢، ج ٢: ١٠٦٥].

ولكن أوروبا والغرب بأكمله كانا ضد استعمال أي وسيلة من وسائل منع الحمل . . وكانت القوانين تعتبر نشر كتاب يوضح للمتزوجين وسائل منع الحمل جريمة يستحق صاحبها السجن . . وذلك كله بسبب تأثير التعاليم الدينية المسيحية التي كانت ولا تزال [الكنيسة الكاثوليكية والكنائس الشرقية] تحارب بشدة وسائل تحديد النسل ما عدا الرهينة والامتناع عن غشيان الزوجة . . وكانت كلمة «منع الحمل» مرادفةً للرذيلة والبغاء والتحلل الأخلاقي، منذ أن نشر مالثوس مقاله الشهير عام ١٧٩٨ وحتى بداية القرن العشرين .

ولكن التغييرات الديموجرافية العنيفة وتقوُّص النظام الإقطاعي وظهور الثورة الصناعية وبروز الطبقة البرجوازية والرأسمالية هي التي أدت إلى تغيير بنية التركيب الاجتماعي وخروج المرأة إلى ميدان العمل بعد أن هاجر الملايين من الرجال من الأرياف إلى المدن وتركوا نساءهم وأطفالهم دون عائل، فاضطرت المرأة للخروج إلى ميدان العمالة بحثاً عن لقمة العيش . وكانت المرأة تعاني أشد المعاناة إذا هي حملت . . ولم يكن لها من طريق سوى الإجهاض الجنائي الذي كان يُجرى سراً وبطرق غير معقمة والتي كانت نتائجه فادحة على حياتها وصحتها . . حيث فقدت ملايين النساء عبر عشرات السنين صحتهم وحياتهن بسبب الإجهاض . . ولم يكن هناك بدُّ من البحث عن وسيلة من وسائل منع الحمل التي أصبحت ضرورة لمثل هذه المرأة العاملة .

إذن الظروف الجديدة وتغير نمط النظام الاجتماعي هو الذي أدى إلى انتشار الروابط المalthوسية وانتشار وسائل منع الحمل . . ولم يكن لنظرية

مalthus حول التزايد السكاني ونُدرة الموارد أي دور على الإطلاق في هذه القضية، بل على العكس من ذلك كان التزايد السكاني هو العامل الأساسي في زيادة الموارد ونمو الدولة ورفاهية سكانها. وكانت الزيادة السكانية في بريطانيا وأوروبا هي التي حولت تلك الدول إلى دول قوية عظيمة تبسط سيطرتها على أرجاء المعمورة.

وإذا أخذنا بريطانيا كمثال نجد المفارقات العجيبة التالية: ففي عام ١٤٠٠م كان عدد سكان بريطانيا لا يجاوز المليونين وفي عام ١٥٠٠م بلغ ثلاثة ملايين وفي عام ١٦٠٠م وصل إلى سبعة ملايين وفي عام ١٨٠٠م بلغ عشرة ملايين. ثم حدثت الطفرة التي جعلت بريطانيا الامبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس وتضاعف السكان في أقل من نصف قرن حيث بلغوا عشرين مليوناً عام ١٨٤٧، قفزوا إلى ثلاثين مليوناً عام ١٨٨٢ وفي عام ١٩١١ كانوا قد جاوزوا الأربعين مليون نسمة.

وكلما زاد السكان زادت الرفاهية وزادت الموارد المتاحة وقويت هبة الدولة واستطاعت بريطانيا بهذا النمو السكاني السريع أن تحكم قبضتها على قارات العالم الست وأن تصبح الامبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس، وأدى الزخم السكاني إلى استيطان أستراليا ونيوزيلندا وأمريكا الشمالية [الولايات المتحدة وكندا].

والمثال الآخر هو الولايات المتحدة التي بلغ سكانها عام ١٧٥٠ مليون نسمة. وبعد قرن واحد تضاعفوا ستة وعشرين مرة حيث بلغوا ٢٦ مليون نسمة. ولم يمض قرن آخر (١٩٥٠) إلا وسكان الولايات المتحدة يزيدون على ١٦٦ مليوناً من البشر. وهذا الزخم السكاني هو الذي حوّل هذه المستعمرة البريطانية إلى أعظم دولة في الأرض.

ولا يزال سكان الولايات المتحدة يزدادون فقد ارتفع السكان ليصلوا إلى ٢٠٩ ملايين عام ١٩٧٢ ثم وصلوا إلى ٢٣٠ مليوناً عام ١٩٨٠ ولا يزالون يزدادون عدداً ويزدادون رفاهية وقوة ومنعة. وبالمقارنة فإن كندا التي تزيد

مساحتها على مساحة الولايات المتحدة تعتبر دولة صغيرة لأن سكانها عام ١٩٨٩ لم يزيدوا عن ٢٦ مليوناً.

وفي كندا ذاتها عبرة إذ أن سكان كويبك هم من أصل فرنسي وثقافتهم ولغتهم فرنسية. . وكان عددهم ثلاثة آلاف شخص فقط ولكنهم بالتناسل السريع مع الهجرة وصلوا إلى عدة ملايين، وأدى ذلك إلى أن تصبح كويبك مقاطعة فرنسية في خضم دولة لا تعرف إلا الإنجليزية.

وتضاعف سكان أوروبا منذ أن قدم المثلثون نظريته عدة مرات، ومع ذلك لم تُصَب بريطانيا ولا أوروبا ولا الولايات المتحدة بالمسغبة والمجاعات التي كان يُنذر بها المثلثون. على العكس زاد الإنتاج زيادة رهيبية حتى أن الفائض من الطعام في أوروبا والولايات المتحدة بلغ جبالاً من القمح والحب واللحم وأنهاراً من اللبن والزبد. وتقوم حكومات هذه الدول بحرق الفائض أو رميه في البحر حتى لا ينخفض السعر في السوق العالمي [يا لها من جريمة شنعاء حيث يموت الملايين في أفريقيا جوعاً وهذه الدول التي تتحدث عن حقوق الإنسان تحرق الطعام وترميه في البحار]. كما تقوم هذه الدول بصرف آلاف الملايين من الدولارات للمزارعين حتى لا يزرعوا أراضيهم خوفاً من فائض الإنتاج.

إن فروض المثلثون وتخرصاته ليس لها أي نصيب من الصحة ولا من مطابقة الواقع، بل إن الواقع يناقض كل حرف في هذه التخمينات والفروض المثلثوية. وإن دولة مثل الهند يبلغ سكانها أكثر من ثمانمائة مليون نسمة، والتي كانت تعاني من نقص الغذاء، استطاعت خلال بضع سنوات من الترشيد في الإنتاج واستخدام الوسائل الحديثة أن تنتج من الغذاء ما يكفي سكانها وأن يفيض الباقي للتصدير.

كما أن دولة مثل الصين يبلغ تعداد سكانها ١٢٠٠ مليون نسمة [أكثر من خمس سكان العالم] حققت اكتفاءً ذاتياً من الغذاء رغم قصور برامجها الغذائية وسوء الإدارة المصاحبة للأنظمة الاشتراكية.

إن إنتاج الغذاء العالمي شهد فائضاً رهيباً في الخمسينات والستينات من

هذا القرن مما أدى إلى رمي آلاف الأطنان في البحر وتقليص الإنتاج، فحدث في السبعينات نقص في إنتاج الغذاء، ثم حصلت زيادة كبيرة في بداية الثمانينات وقامت الدول الغربية مرة أخرى بحرق المحصول الفائض ورميه في البحر وتقليص الإنتاج، ويتوقع أن تشهد التسعينات مرة أخرى أزمة جديدة في الغذاء ناتجة عن تقليص الإنتاج المتعمد لا عن شح الموارد وقتلها.

ولقد استطاعت بعض الدول الإسلامية أن تحقق اكتفاء ذاتياً في مجال الغذاء بل تجاوزته إلى التصدير، رغم الزيادة الرهيبة في تعداد السكان، وسوء الإدارة وعدم استغلال الفرص والثروات المتاحة، فعلى سبيل المثال استطاعت أندونيسيا أن تحقق اكتفاء ذاتياً من الأرز وتتجاوزته إلى التصدير رغم أن سكانها قد زادوا عن ١٣٥ مليوناً عام ١٩٧٥ إلى ١٦٦ مليوناً عام ١٩٨٥. وحققت باكستان اكتفاء ذاتياً من الأرز والقمح وبدأت بتصدير الفائض رغم أن سكانها زادوا عن ٧٥ مليوناً عام ١٩٧٥ إلى ١٠٠ مليون عام ١٩٨٥. واستطاعت تركيا، التي زاد سكانها عن ٤٠ مليوناً عام ١٩٧٥ إلى ٥٠ مليوناً عام ١٩٨٥، أن تصدر كمية كبيرة من اللحوم والحبوب والخضروات والفواكه. وكان معدل فائض الإنتاج للغذاء في تركيا ما قيمته ٤٠٠ مليون دولار سنوياً. وحققت ماليزيا فائضاً ضخماً في الإنتاج الغذائي بلغت قيمته ١٢٠٠ مليون دولار رغم أن السكان قد زادوا من ١٢ مليوناً عام ١٩٧٥ إلى ١٦ مليوناً عام ١٩٨٥. وكان لدى الكاميرون وتشاد وأفغانستان ومالي وجزر القمر فائض صافي في تجارة الغذاء مع أنه كان قليلاً. [وقائع ندوة الأمن الغذائي في العالم الإسلامي، عمان - الأردن ٥ - ٧ ديسمبر ١٩٨٧، ملخص الأبحاث ص ٣٥].

وقد حققت المملكة العربية السعودية، وهي صحراء قاحلة في معظم أراضيها، اكتفاء ذاتياً من القمح منذ عام ١٩٨٤، ثم خطت خطوات سريعة في سبيل التصدير. وفي عام ١٩٨٨ بلغت صادرات المملكة من القمح ١,٧٢٠,٠٠٠ طن كما صدرت المملكة ٤٨ ألف طن من الخضروات والفاكهة وفسائل النخيل وصدرت من البيض والدواجن والأسماك والماشية ٣٠

ألف طن [تصريحات وزير الزراعة، نشرتها وكالات الأنباء والصحف المحلية في ١/٧/١٩٨٩] . . . وقد بلغ إجمالي صادرات المملكة من المنتجات الزراعية والحيوانية للأسواق العربية والدولية ١,٨٦٣,٠٠٠ طن.

وإذا استطاعت المملكة العربية السعودية، وهي صحراء قاحلة، أن تنتج الطعام بحيث يفيض عن حاجتها وتصدّره لأسواق العالم، فكيف لا تستطيع الأراضي التي حباها الله بالمياه والأنهار والأمطار والغابات والشواطئ والبحار أن تنتج ما يكفيها من الغذاء!!

لقد كان سكان العالم عندما قدّم مالثوس نظريته عام ١٧٩٨ أقل من بليون نسمة . . . وحذّر مالثوس وأنصاره من الانفجار السكاني وأن السكان يتزايدون على هيئة متواليات هندسية بينما لا تتزايد الموارد إلا على هيئة متواليات حسابية. وأن ذلك لا ريب سيؤدي إلى المجاعات الرهيبة والأوبئة الكاسحة والحروب المدمرة . . . وأن البشرية لن تجد ما يكفيها من الغذاء خلال نصف قرن من الزمان إذا استمر التكاثر بنفس النسبة .

وجاء الواقع يكذب تخريصات مالثوس . لقد زاد سكان الكرة الأرضية بأكثر مما توقع مالثوس وبلغوا أكثر من خمسة آلاف مليون نسمة . ومع هذا فالغذاء يفيض لدرجة أنه يحرق ويرمى في البحر . . . وكان عدد سكان بريطانيا عندما قدم مالثوس نظريته أقل من عشرة ملايين وها هم الآن يقتربون من الستين مليوناً . . . ولم تشهد بريطانيا رفاهية أعظم مما هي عليه الآن . . . رغم أن بلدته فقيرة في الموارد من الأساس، وقد فقدت بريطانيا إمبراطوريتها التي لا تغيب عنها الشمس ولم يعد لها من مورد سوى جهد أبنائها وذكائهم .

إن الجهد البشري يستطيع أن يحول التراب ذهباً والصحراء جنات وارفة، والطعام وفيراً . . . والأرض تفيض بخيراتها، ولكن جشع الإنسان وسوء إدارته هي التي تسبب نقصان الموارد واختفاء البركات من السماء والأرض .

إن سبب أزمة الغذاء في العالم هي أزمة ناتجة عن ظلم الإنسان لأخيه

الإنسان؛ ونتيجة عن سوء الإدارة وعن الجشع والطمع وعن الجهل والغباء وعن الكسل والخمول. . ولا ترجع مطلقاً إلى قلة الموارد.

إن سبب أزمة الغذاء في العالم الثالث [والعالم الإسلامي جزء منه] راجع إلى سوء التخطيط والإدارة وإلى تعفن الأنظمة السياسية وإلى إضاعة الأموال الضخمة في ترسانات الأسلحة وأجهزة المخابرات، وإلى الحروب المدمرة التي تقوم بين تلك الدول وإلى الإنفاق على أجهزة الإعلام الهابطة والتي ليس لها من وظيفة سوى مغالطة الشعوب والكذب عليها وإلهاء تلك الشعوب بالترهات، وإلى خوض معارك خاسرة مثلما فعل صدام العراق الطاغية، وإلى عدم استخدام التقنيات الحديثة والموارد المتاحة وإلى السرقات الرهيبة، وإلى الاستدانة من البنوك العالمية لتحقيق مشاريع وهمية خيالية لا فائدة منها سوى الدعاية والإعلان وسرقة الأموال، وهي ديون أخذت بالربا الفاحش حتى أن دخل الدولة بأكمله لا يفي بخدمة تلك الديون [أي لا يفي أحياناً بالربا المفروض على الدين]، ولذا تزداد أزمة الديون تفاحشاً فعلى سبيل المثال عندما مات عبد الناصر كانت مصر مديونة بستة آلاف مليون دولار. وعندما قتل السادات كان الرقم قد قفز إلى ٢٨ ألف مليون دولار وقد تجاوز الرقم الآن ٥١ ألف مليون دولار، وهو قابل للزيادة باضطراد.

وتعاني الدول الإسلامية [ما عدا قلة] من عجز متزايد في ميزان مدفوعاتها بسبب نقص الإنتاج الغذائي عن الحاجة المتزايدة للسكان. ففي أوائل السبعينات بلغ معدل كميات الحبوب التي استوردتها البلاد الإسلامية ١٢ مليون طن سنوياً وللأسف زادت هذه الكمية زيادة كبيرة، وتضاعفت أربع مرات بحلول الثمانينات من هذا القرن حيث بلغت ٤٨ مليون طن من الحبوب سنوياً. وكذلك تضاعفت كمية الحليب المستورد أربعة أضعاف وتضاعفت كمية السكر المستورد وتضاعفت كمية اللحوم المستوردة أضعافاً كثيرة من عام ١٩٧٣ إلى عام ١٩٨٣ كما ذكرتها وقائع ندوة الأمن الغذائي في العالم الإسلامي التي انعقدت في عمان - الأردن [٥ - ٧ ديسمبر ١٩٨٧].

والمشكلة المروعة أن ثمن الغذاء سيزداد زيادة كبيرة في التسعينات بسبب النقص المتعمد في الإنتاج الذي تمارسه الدول الغربية [الولايات المتحدة، كندا، أوروبا] بالإضافة إلى تآكل العملات المحلية وهبوطها المستمر.

إن العالم الإسلامي سيواجه كارثة حقيقية في الحقبة القادمة إذا لم يتم التعاون الوثيق بين الدول الإسلامية لتجنب هذه الكارثة . .

وللأسف يميل بعض الحكام إلى شماعة زيادة السكان ويعلق عليها فشله وسوء إدارته . . ومن المؤسف حقاً أن يقف رئيس دولة مسلمة يقول لشعبه : «أنا حجب لكم أكل منين، إذا كتتم تتكاثرون مثل الأراب؟»، لكأنما هو الرزاق وهو الذي يطعم . وما درى أن الرزاق هو الله سبحانه وتعالى ذو القوة المتين . وأن سبب أزمة الغذاء الطاحنة في بلده وفي غيره من البلاد راجع إلى سوء الإدارة وسوء التنظيم وبعثرة الأموال في غير محلها . وهو السفه الذي نهى الله عنه، بل وأمر بالحجر على من يفعله من السفهاء حيث قال سبحانه وتعالى : ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا<sup>(١)</sup>﴾، مع أنها أموالهم، ومع ذلك اعتبر الإسلام أموالهم راجعة إلى المجتمع بأكمله ومنعهم من التصرف في أموالهم الخاصة وحجر عليهم ذلك . فكيف بالذي يضيّع أموال الأمة ويذرهما أسوأ تبذير؟ . وكيف بالذي يستدين باسم الأمة أموالاً ضخمة بالربا ثم يضيّعها؟ .

لهذا كله نؤكد القول بأن أزمة الغذاء ناتجة عن سوء الإدارة وسوء التنظيم وإلّا فكيف استطاعت الصين في خلال بضع سنوات من الترشيد أن يكون لديها فائض في الغذاء وسكانها يبلغون ١٢٠٠ مليون نسمة؟ وكيف استطاعت الهند ذات الثمانمائة مليون بعد قليل من الجهد أن يكون لديها فائض في فاتورة الإنتاج الغذائي؟ .

---

(١) سورة النساء: الآية ٥ .



## خطأ نظرية مalthوس على ثلاثة مستويات :

إن نظرية مالثوس قد عفى عليها الزمن وأظهر الواقع مصادمتها للحقائق، ورغم ذلك لا يكف دعاة المalthوسية ليلاً ونهاراً عن دعاواهم العريضة في الانفجار السكاني الذي يهدد البشرية والذي يشبهونه أحياناً بخطر الانفجارات النووية وربما أشد.

يبدو خطأ نظرية مالثوس على مستويات ثلاثة هي : المستوى العالمي ، ومستوى العالم الإسلامي ، ومستوى العالم العربي . وسناقش باختصار هذه المستويات الثلاثة :

### ١ - المستوى العالمي :

كان سكان العالم في عهد مالثوس [نهاية القرن الثامن عشر] أقل من ألف مليون نسمة وكانوا يعانون من شح المجاعة . وفي خلال قرنين من الزمن زاد السكان فتجاوزوا خمسة آلاف مليون نسمة . ورغم حدوث مجاعات في مناطق مختلفة من العالم وخاصة في أفريقيا إلا أن العالم قد أتخم بالفائض من الحبوب واللحوم والألبان والبيض والفواكه والخضار . وأصبحت الدول الأوروبية والولايات المتحدة تعاني مشاكل جمة بسبب تلال الحبوب الفائضة وأنهار الألبان الزائدة عن الحاجة ، وهي تجد صعوبة في تخزينها وتسويقها وتضطر بالتالي إلى حرقها أو رميها في البحر . . كما أن هذه الدول قد اتجهت في السنوات الخمس الأخيرة إلى دفع آلاف الملايين من الدولارات للمزارعين حتى لا يزرعوا أرضهم كلها، بل يبقوا أجزاء منها جرداء كما دفعت هذه الدول آلاف الملايين من أجل إقلال إنتاج البيض والألبان والأجبان واللحوم !! .

إن العالم في الثمانينات من القرن العشرين يعاني من نخمة في إنتاج الغذاء . . ولكن نتيجة جشع الإنسان ونتيجة الحروب المدمرة والثورات الأهلية، وخاصة في أفريقيا، فإن الملايين يتعرضون للمجاعة سنوياً، بينما يُرمى الغذاء الفائض في البحر في كل عام . وتعاني الصومال والحبيشة من المجاعة بسبب الحرب الأهلية المدمرة وبسبب الجفاف ولا علاقة لكثرة السكان أو قلته بهذه المجاعات مطلقاً .

## ٢ - مستوى العالم الإسلامي :

إن العالم الإسلامي تمثله دول مستقلة هي الدول الأعضاء في المؤتمر الإسلامي ، ويبلغ عددها ٤٦ دولة موزعة في آسيا وأفريقيا ويبلغ عدد سكانها ٨٥١ مليوناً (إحصاء ١٩٨٥) ، كما يمثلها مجموعات إسلامية كبيرة في الدول الاشتراكية منها دولة ألبانيا التي لم تشترك في منظمة المؤتمر الإسلامي . ويبلغ تعداد المسلمين فيما كان يسمى الاتحاد السوفيتي ٥٠ - ٦٠ مليوناً وفي الهند مائة مليون وفي الصين كذلك . وهناك أقلييات ذات وزن في أماكن مختلفة من العالم .

ويعاني العالم الإسلامي من التخلف بشكل واضح وفيه مجموعة من أفقر دول العالم وتعاني بعض أقطاره من المجاعات والحروب والثورات والقتل كما تعاني من سوء الإدارة ونفسي السرقات في الجهاز الحكومي وازدياد أعباء المديونية .

وقد أوضحت الدراسات القيمة التي نوقشت في ندوة الأمن الغذائي في العالم الإسلامي والمنعقدة في عمان - الأردن (٥ - ٧ ديسمبر ١٩٨٧) أن مشكلة الأمن الغذائي في العالم الإسلامي راجعة إلى عدم استغلال الإمكانيات المتاحة والثروات الهائلة لديهم . والغريب حقاً أن الدول الإسلامية لا تتعاون فيما بينها بل ولا تمارس التجارة فيما بينها إلا بقدر محدود . ففي تجارة الغذاء كانت نسبة ٨٨ بالمئة من التجارة مع بلاد غير إسلامية . وكانت نسبة ١٢ بالمئة فقط هي نصيب تجارة الغذاء فيما بين الدول الإسلامية . أما تجارة المواد المصنعة والماكينات والسيارات والألبسة والأسلحة فتكاد أن تكون مقصورة على الدول غير الإسلامية .

ولدى تقييم المشاركين في الندوة تم الاتفاق على النقاط التالية :

١ - تنظيم خطط إنتاج الغذاء بحيث تنتج سلعاً غذائية قابلة للتصدير تحتاجها بلاد إسلامية أخرى .

٢ - تشجيع إقامة سوق مشتركة لتجارة الغذاء على الصعيد الإقليمي الفرعي والإقليمي والعالم الإسلامي بأكمله [ووضع لذلك عدة بنود لا داعي للخوض فيها هنا لضيق المجال].

وقد جاء في كتاب الإنتاج الغذائي في الوطن الإسلامي للدكتور أحمد عبد السلام هبة أن الأراضي الصالحة للزراعة في العالم الإسلامي هي ٢٢٠٠ مليون هكتار، ولكن ما يزرع منها فعلاً هو ٢٤٢ مليون هكتار، منها ٤٠ مليوناً تعتمد على الري و ٢٠٢ مليون هكتار تعتمد على المطر. . وهي تزرع بوسائل متخلفة بدائية. ومعدل إنتاج الهكتار من الحبوب في الوطن الإسلامي هو طن واحد فقط بينما هو خمسة أطنان في معظم دول العالم. وقد ذكرت هيئة الإذاعة البريطانية [١١ أكتوبر ١٩٨٩] في برنامج الإذاعة العالمية باللغة الإنجليزية أن الإنتاج قد وصل في الدول الغربية إلى ٢٠ طن من القمح لكل فدان.

باختصار إن الأرض المزروعة في العالم الإسلامي لا تزيد عن ١١ بالمئة من الأراضي الصالحة للزراعة، وهي تنتج كمية ضئيلة بالمقارنة مع ما تنتجه الدول الأخرى من كل فدان.

وفي العالم الإسلامي مجموعة من أكبر أنهار العالم من أشهرها النيل والفرات ودجلة والجانجيز (بنجلاديش) والسنغال (أفريقيا الغربية) وجيخون (أموداريا وينبع من أفغانستان وينتهي في الجمهوريات الإسلامية التركستانية) ومثله نهر سيخون (سرداريا). . ومياه هذه الأنهار لا تستغل استفلاً صحیحاً بل يذهب الكثير من مياهها إلى البحار، كما أن الأراضي التي تسقى بمياه الأنهار يتم إغراقها بالماء مما يؤدي إلى الملوحة وضياع التربة ونمو الآفات والحشرات التي تقضي على الزرع وتضعف قوة النبات وبالتالي تؤدي إلى قلة الإنتاج.

إن بنجلاديش تعاني سنوياً من فيضان نهر الجانجيز ويذهب آلاف الأشخاص ضحية لهذه الفيضانات بالإضافة إلى ضياع عشرات الآلاف من الماشية وإغراق الأراضي الزراعية وفقدان المحصول. . ولو استطاعت

بنجلاديش أن تبني السدود المحكمة على نهر الجانجيز لاستطاعت أن توفر المياه لزراعة ملايين الهكتارات ولأنتجت من الغذاء ما يفرض عن حاجة سكانها الذين تجاوزوا المائة مليون. ولكن بنجلاديش لا تجد من الدول الإسلامية الغنية من يُعِينها على بناء هذه السدود.

وتذكر الندوة أن وضع السدود على نهر السنغال الذي تضيع مياهه في المحيط الأطلسي يستطيع أن يروي ١,٥ مليون فدان وينقذ ثمان دول أفريقية مسلمة من شبح المجاعة.

وهناك معوقات متعلقة بالمزارعين بالجهلة وبالأسمدة والتقاوي ونوعية البذور كما أن هناك معوقات متصلة بالسياسات الاقتصادية الخرقاء لتلك البلدان، ومن أهم تلك المعوقات، معوقات الإدارة السيئة والبيروقراطية.

ببساطة يمكن مضاعفة الأراضي المزروعة بمياه الأنهار من ٤٠ مليون إلى ثمانين مليون هكتار وذلك بمجرد ترشيد الاستهلاك. أما إذا استغلت هذه الأنهار على الوجه الأكمل فإنه يمكن مضاعفة الأراضي المزروعة عدة مرات. كما يمكن، باستخدام التقنيات الحديثة، مضاعفة إنتاج الهكتار الواحد من طن إلى عشرين طناً.

ورغم أن مساحة المراعي في العالم الإسلامي تشكل ١٦ بالمئة من مراعي العالم إلا أن تخلف الإدارة وسوء التنظيم أدّى إلى الإنتاج الحيواني الهزيل مما جعل العالم الإسلامي يستورد اللحوم بمقدار ١,٢ مليون طن سنوياً وهو معدل يزداد باضطراد.

وقد أدت السياسات القاصرة في مجال الغذاء إلى أن يصبح العالم الإسلامي مستوراً للغذاء وكان المعدل السنوي لاستيراد الجيوب في الثمانينات يقدر بـ ٤٨ مليون طن ويستورد العالم الإسلامي ١,٢ مليون طن من اللحوم كما يستورد كميات كبيرة من الألبان المجففة والخضروات والفواكه.

ويبلغ إنتاج العالم الإسلامي من اللحوم بما فيها الأسماك والطيور

والماشية حوالي ٤ بالمئة من الإنتاج العالمي رغم أن أراضي العالم الإسلامي وسكانه يمثلون خمس العالم . ويزخر العالم الإسلامي بثرواته النفطية وثروات المطاط والكروم والقصدير والفوسفات واليورانيوم ، وكلها تستغلها الشركات الأجنبية ولا يأخذ المسلمون منها سوى الفتات .

### ٣ - مستوى الدول العربية :

وهذا هو المجال الثالث الذي نريد أن نناقش فيه دعاة المalthusية وتحديد السكان . . وفي العالم العربي على وجه الخصوص دعوى عريضة بأن أزمة الغذاء راجعة إلى الزيادة المضطربة في عدد السكان .  
والواقع أن العالم العربي يعاني من نقص في السكان والجدول التالي يوضح كثافة السكان في بعض البلاد العربية مقارنة بالبلاد الأجنبية :

| القطر                          | الكثافة السكانية<br>(عدد الأشخاص في كل كيلو متر مربع)           |
|--------------------------------|---|
| موريتانيا                      | شخص واحد فقط  |
| ليبيا                          | شخصين   |
| عمان                           | أربعة أشخاص   |
| المملكة العربية السعودية       | خمسة أشخاص (بالنسبة لمجموع السكان وثلاثة بالنسبة إلى السعوديين) |
| اليمن الديمقراطية (قبل الوحدة) | خمسة أشخاص  |
| السودان                        | ثمانية أشخاص  |
| مصر                            | ٥٠ (خمسون شخصاً)  |

### وبالمقارنة نجد الكثافة السكانية في :

|          |              |
|----------|--------------|
| سويسرا   | ١٥٦ شخصاً    |
| بريطانيا | ٢٢٩ شخصاً    |
| اليابان  | ٣٦٣ شخصاً    |
| سنغافورة | ٤٠,٠٠٠ شخصاً |

ومن الواضح الجلي من هذا الجدول أن أكثر البلاد العربية سكاناً هي مصر والتي تشكو بمرارة من زيادة السكان وتبذل كل جهودها لمحاربة زيادة السكان، ومع هذا فإن الكثافة السكانية في مصر هي خمسين شخصاً لكل كيلو متر مربع بينما هي ١٥٦ في سويسرا و ٢٢٩ في بريطانيا و ٣٦٣ في اليابان . وهذه البلاد الثلاثة بلاد فقيرة في ثرواتها ولكنها غنية برجالها . . وقد أدى ذلك إلى البون الشاسع بين مستوى المعيشة في هذه البلاد الثلاثة التي تعتبر من أرقى المجتمعات رفاهية في العالم وبين البلاد العربية التي تحتوي أراضيها على ثروات هائلة .

إن زيادة السكان في سويسرا وبريطانيا واليابان كانت مكسباً على الدوام لأن أعظم ثروة هي الإنسان الذي استطاع أن يحول التراب إلى ذهب وأن يستنقذ الأراضي الواطئة من البحر فيردمها ويزرعها (هولندا وبلجيكا والدنيمارك) ويصدر منها الغذاء إلى بقية دول العالم . وأما زيادة السكان في الجزيرة الصغيرة سنغافورة فهي معجزة إذ أنها تتمتع بأعلى مستويات المعيشة رغم أنها أكثر بلد في العالم كثافة في السكان (٤٠,٠٠٠ لكل كيلومتر مربع) .

إن القضية ليست قضية ثروات، فالعالم العربي يزخر بثروات هائلة وعلى سبيل المثال فإن ٣٥ بالمئة من الإنتاج العالمي للنفط كان يأتي من البلاد العربية عام ١٩٧٩، ويمثل مخزون الدول العربية من النفط ٥٢,٩ بالمئة من المخزون العالمي وارتفع مخزون النفط في البلاد العربية ليمثل قرابة ٨٠ بالمئة من المخزون العالمي بعد الاكتشافات الجديدة في اليمن والسعودية وعمان والسودان وغيرها من البلاد العربية!!

ويذكر تقرير برنامج الأمن الغذائي الذي أصدرته المنظمة العربية للتنمية الزراعية بالجامعة العربية والصادر في أغسطس ١٩٨٠ ما يلي :

١ - إن حجم الموارد الطبيعية سواء كانت الأرضية أو المائية يعد كافياً للوفاء باحتياجات الأمة العربية في المستقبل القريب والبعيد .

٢ - إن الموارد المائية السطحية يمكن زيادتها من ١٣٩ مليار متر مكعب إلى

٢٠٢ مليار وذلك بالتحكم فقط في فواقد الأنهار. . ويمكن مضاعفة المياه الجوفية من ١٢ مليار إلى ٢٥ مليار متر مكعب سنوياً وبالتالي يمكن ببساطة مضاعفة الأراضي المرورية وزيادة مساحتها من ١٢,٥ مليون هكتار إلى ٢١,٦ مليون هكتار إذا استغلت هذه الموارد استغلالاً صحيحاً.

٣ - إن مساحة الأرض الصالحة للزراعة في الوطن العربي تبلغ ٢٣٦ مليون هكتار لا يستغل منها حالياً سوى ٤٦ مليون هكتار، ويعتمد ٨٠ بالمئة منها على الأمطار ولا يزيد التكتيف الزراعي عن ٥٠ بالمئة وهو معدل ضئيل للغاية.

ويستعرض ذلك البحث الضخم المكون من ثمانية مجلدات كيفية الاستفادة من الإمكانيات الزراعية الهائلة المتاحة وغير المستغلة حالياً كما يورد إحصائيات دقيقة عن الموارد المائية الموجودة في الدول العربية والتي تبلغ ٢٣٨ مليار متر مكعب والتي لا يستغل منها حالياً سوى ١٥٦ مليار ويطرق بدايةً بسبب عدم الاستفادة حتى من هذه الكمية المستخدمة.

ويمكن دون شك مضاعفة الثروة الحيوانية والسمكية والدواجن والبيض عدة مرات بقليل من الجهد وحسن الإدارة.

ويكفي أن تعلم أن السودان التي عانت من المجاعة في السنوات الأخيرة، تكفي وحدها إذا استغلت إمكانياتها الزراعية والرعية لإطعام العالم العربي بأكمله. . وهي تحتاج إلى إمكانيات مالية وإدارية لتصبح «سلة الخبز» للعالم العربي بأكمله.

ويذكر التقرير أن عدد سكان العالم العربي عام ١٩٧٦ كانوا ١٤٦ مليوناً بينما بلغ سكان العالم آنذاك ٤٠٤٥ مليوناً. وبما أن مساحة العالم العربي تشكل عشر مساحة اليابسة من الكرة الأرضية فإن سكان العالم العربي ينبغي أن يكونوا أربعمئة مليون. وفي عام ١٩٨٦ بلغ سكان العالم العربي مائتي

مليون وارتفع سكان العالم إلى خمسة آلاف مليون . وبما أن مساحة العالم العربي تشكل عُشر مساحة اليابسة من الكرة الأرضية فإنه على هذا التقدير ينبغي أن يكون سكان العالم العربي خمسمائة مليون .

من الواضح جداً أن العالم العربي لا يعاني من زيادة مفرطة في السكان كما تدعي أبواق المalthوسية ، بل على العكس من ذلك يعاني العالم العربي من نقص في سكانه مع أن موارده وثرواته هائلة بصورة لا يكاد يصدقها العقل . . ولا يكمن الحل في الحد من السكان بل في المزيد من العمل وكفاءة الإنتاج وترشيد الاستهلاك وإيقاف السفه في إنفاق المال في غير محله وإيقاف السرقات وعمليات النهب لأموال الأمة والتي يذهب معظمها إلى الاحتكارات العالمية .





## الفصل الثالث

### وسائل تحديد النسل

- (أ) قتل المواليد.
- (ب) الإجهاض.
- (ج) وسائل منع الحمل المؤقتة والدائمة.



## وسائل تحديد النسل

لقد استخدم الإنسان على مدى العصور ثلاث وسائل رئيسية لتحديد النسل، وأبشعها وأفظعها وأشدّها إجراماً قتل المواليد من الذكور والإناث وإن كان نصيب الإناث لدى كافة الأمم أوفر. وستحدث بإيجاز عن هذه الوسائل الثلاث، ومن أراد التوسع فليرجع إلى كتاب «سياسة ووسائل تحديد النسل في الماضي والحاضر» لكاتب هذه السطور.

( أ )

### قتل المواليد (Infanticide)

ذكرت أسفار العهد القديم [التوراة المحرفة] وخاصة سفر القضاة أن بني إسرائيل قدّموا أبناءهم وبناتهم قرابين للآلهة التي عبدوها أثناء ردّتهم عن عبادة الله وعبادتهم للأوثان، مثل البعل [البعليم] وعشتاروت وغيرها من آلهة الكنعانيين والصيدونيين واللبنانيين والعمونيين... إلخ. وكانت كثير من الأمم تقدم أبناءها وبناتها قرابين للآلهة وقد وبخهم أنبيأؤهم توبيخاً شديداً على تلك الجرائم البشعة.

وفي أسبرطة كانت التقاليد المتبعة تفرض على الوالد أن يختبر وليده الصغير فور ولادته فإن وجده ضعيفاً أو مريضاً أو مشوّهاً بادر بالقضاء عليه.

وفي جزيرة العرب كانت جريمة قتل البنات خاصة منتشرة لدى بعض القبائل مثل كندة وربيعة وطى وتميم... وقد شدّد القرآن الكريم النكير على

أولئك الجفافة الغلاظ الأكباد الذين يقتلون أولادهم سفهاً بغير علم خوف الفقر أو نتيجة الفقر أو خوف العار. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةً إِمْلَاقٍ. نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ. إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾<sup>(١)</sup>. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ. نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

ففي خشية الإملاق قَدَّم المولى سبحانه وتعالى رزق الأولاد على آباءهم وأمهاتهم، أما في حالة الإملاق والفقر فقد طمأن المولى سبحانه وتعالى الوالدين برزقهما أولاً ثم رزق أولادهما، وكان قتل البنات منتشرراً خوف العار بالإضافة إلى خوف الفقر.

ولقد ندد القرآن الكريم بموقف هؤلاء الأعراب وهم يفتنون موقف الذل والصغار يوم القيامة. قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ \* بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾<sup>(٣)</sup>. ووصف منظر ذلك الشخص الذي تأتيه البشارة بولادة أنثى فإذا وجهه قد اربدّ واسودّ وإذا هو قد أرغى وأزبد وهو يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب. قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ \* يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيْمِسُكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ. أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وكانت الأم إذا عرفت ما فعل زوجها بابنتها الأولى تقوم إذا قربت ولادتها بحفر حفرة، فإذا جاء المخاض وولدت بنتاً ألقتها في الحفرة وأهالت عليها التراب وجنبتها مشقة القتل بعد أن تكبر وتبلغ السعي<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الإسراء: الآية ٣١.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٥١.

(٣) سورة التكوير: الآيتان ٨، ٩.

(٤) سورة النحل: الآيتان ٥٨، ٥٩.

(٥) روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما انظر بحث الشيخ عبد الله السام: تنظيم النسل وتحديده. بحث مقدم إلى مجمع الفقه الإسلامي في دورته الخامسة المنعقدة في الكويت ١٤٠٩هـ.

لهذا كله شدد الإسلام النكير على قتل الأولاد ذكوراً وإناثاً. قال تعالى : ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾<sup>(١)</sup>، وجاء في بيعة النساء أن لا يقتلن أولادهن . قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد جاء في الصحيحين [البخاري ومسلم] من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ : «أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ : (أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نَدًا وَهُوَ خَلْقَكَ). قلت: ثم أي؟ قال: (أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشِيَةً أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ)» .

واختفى وأد البنات وقتل الأولاد من المجتمعات العربية الجاهلية بظهور نور الإسلام إلى الأبد. ولكن وأد البنات وقتل الأولاد استمر في بلاد كثيرة لم تعرف هدي الإسلام. تقول دائرة المعارف البريطانية<sup>(٣)</sup> : «إن قتل الأولاد كان منتشرًا في أوروبا إلى عهد الامبراطور قسطنطين الذي أصدر قانوناً يمنع قتل الأولاد في القرن الرابع الميلادي . ولكن قتل الأولاد استمر في أوروبا إلى القرن التاسع عشر الميلادي!! وذلك بسبب الفقر وحوادث الحمل من الزنا وعدم معرفة وسائل منع الحمل، واستنكار المجتمع آنذاك لأبناء الزنا وعدم الاعتراف بهم. وقد أدّى ذلك إلى قتل العديد من المواليد سرًا في كل عام. ويضاف إلى ذلك قتل المشوهين من المواليد باعتبار أنه قتل رحمة وهو نوع يمارس في أوروبا إلى اليوم. كما كانوا يعتقدون أن المشوهين هم نتيجة زنا مع الشياطين!!» .

(١) سورة الأنعام: الآية ١٤٠ .

(٢) سورة الممتحنة: الآية ١٢ .

(٣) دائرة المعارف البريطانية مجلد ٢: ١٠٦٩: ١٥ الطبعة ١٥ لعام ١٩٨٢ .

واستمر قتل الأولاد وخاصة وأد البنات في الهند والصين إلى القرن الثامن عشر الميلادي وبدأت القوانين تحاربه بشدة، ورغم ذلك استمر خفية ثم عاد إلى الظهور في الصين في الستينات من القرن العشرين عندما قام ماوتسي تونج بثورته الثقافية، وأصدر قانوناً يحرم على الزوجين أن ينجبا أكثر من طفل واحد فقط كما رُفِع سن الزواج إلى الثلاثين بالنسبة للرجل وخمسة وعشرين بالنسبة للمرأة. . . وكان من نتيجة هذه القوانين المجحفة الظالمة أن تم قتل الملايين من المواليد وخاصة البنات وذلك خلال عقدين من الزمن. . . وبعد أن زال نظام الطاغية ماوتسي تونج قامت الدولة باستبداله بقانون أقل جوراً وظلماً وسمحت للزوجين بأن ينجبا طفلين فقط، فقلَّ بذلك وأد البنات وكاد يختفي ليحل محله نوع جديد من وأد البنات يندرج في موضوع الإجهاض.

\* \* \*

(ب)

## الإجهاض

ويسمى أيضاً الإسقاط والإملاص والطرح والإسلاب

ولا نتحدث هنا عن الإجهاض التلقائي الذي يحدث لما يقارب ٢٠ بالمئة من جميع حالات الحمل، كما أننا لا نتحدث هنا عن الإجهاض الطبي الذي يتم نتيجة وجود مرض يحتم إحداث الإجهاض، ولكن حديثنا سيقترصر هنا على الإجهاض المحدث (Induced Abortion) أو ما كان يسمى الإجهاض الإجرامي (Criminal Abortion) الذي لم يكن له سبب سوى الفقر أو خوف الفضيحة نتيجة الزنا، والذي يستخدم بالتالي كوسيلة من وسائل تحديد النسل.

ويقول الكتاب المرجع عن وسائل منع الحمل «ممارسة منع الحمل» لبوتس وديجوري<sup>(١)</sup>: «لقد شهدت بريطانيا ومعظم دول أوروبا انخفاضاً في نسبة المواليد في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين [١٨٧٠ - ١٩٢٠]. ويرجع السبب في ذلك إلى انتشار الإجهاض الإجرامي بصورة ذريعة. ولم يكن الإجهاض مسؤولاً عن الانخفاض في نسبة المواليد فحسب، ولكنه كان مسؤولاً عن عدد كبير من وفيات النساء، وعن عدد أكبر من الأمراض الخطيرة التي كانت تعتورهن بسبب ممارسة الإجهاض. . . وقد انخفض حجم

---

(١) Potts M and Diggory: Text-book of Contraceptive Practice, Cambridge University Press, 2nd edition 1983: 1-16.

العائلة في الولايات المتحدة بسبب الإجهاض من ٧,٠٤ عام ١٨٠٠ إلى ٣,٥٦ عام ١٩٠٠ . . .

إن استخدام الإجهاض في الوقت الحاضر يعتبر مسؤولاً عن ٣٣ بالمئة من انخفاض نسبة المواليد في كوريا الجنوبية وفي كثير من الأقطار الأخرى» .

وتقول دائرة المعارف البريطانية<sup>(١)</sup>: «إن ٥٠ بالمئة من جميع حالات الحمل تجهض بفعل فاعل، سواء كان بموافقة القانون أو بغير موافقته في فرنسا واليابان وأن ٢٥ بالمئة من جميع حالات الحمل تجهض في ألمانيا الغربية وهولندا والدنيمارك» .

ويقول كتاب «The Pill» للدكتور جلوبود<sup>(٢)</sup>: «يتم قتل ٤٠ مليون جنين في كل عام في العالم بواسطة الإجهاض المحدث «Induced Abortion»، نصفهم على الأقل بصورة غير قانونية [جنائية إجرامية]، ويؤدي ذلك إلى وفاة قرابة مائتي ألف امرأة وإصابة مئات الآلاف بأمراض مختلفة وجعل عدد كبير منهن يعانين من العقم الدائم». ويذكر كتاب «التحكم في الخصوبة الإنسانية»<sup>(٣)</sup>: «أن الإجهاض المنتشر حالياً قد أدّى إلى خفض السكان بصورة أكبر بكثير من جميع وسائل منع الحمل الأخرى مجتمعة». وبما أن وسائل منع الحمل وخاصة الحبوب غير متوفرة فيما كان يعرف بالمنظومة الاشتراكية [الاتحاد السوفييتي ودول أوروبا الشرقية] فإن الإجهاض هو أكثر وسائل منع الحمل انتشاراً. ولذا فإن حالات الإجهاض تبلغ ضعف حالات الولادة وهو أمر خطير ومشين .

---

(١) دائرة المعارف البريطانية الطبعة ١٥ لعام ١٩٨٢ المجلد ١١ ص ٨٥ .

(٢) Guillebaud J: "The Pill" Oxford University Press, 1987: 15.

(٣) Hawkins D and Elder M: Human Fertility control, Butterworths, London 1979: 237.



وقد جاء في مجلة التايم الأمريكية أن عدد حالات الإجهاض المحدث في العالم قد بلغ خمسين مليوناً كل عام<sup>(١)</sup>. وأن عدداً كبيراً من النساء يعانين من أمراض بالغة الخطورة بسبب هذا الإجراء الذي يتم في كثير من مناطق العالم بصورة غير قانونية، وبالتالي يتم في الخفاء وبأدوات غير معقمة مما يؤدي إلى الإجهاض المتسن (Septic Abortion) ومضاعفاته، كما أن الإجهاض بهذه الطريقة يؤدي إلى حدوث وفيات عديدة بالإضافة إلى المضاعفات الأخرى مثل العقم والتزف الشديد وتمزق عضلات الرحم.

ورغم أن الكاثوليك يحرمون الإجهاض تحريماً تاماً ويعتبرونه جريمة قتل، إلا أن دول أمريكا اللاتينية الكاثوليكية تحظى بمعدل إجهاض لا يبارى حيث يتم قتل ثلاثة ملايين من الأجنة سنوياً. وفي الجزيرة الإيبيرية [أسبانيا والبرتغال، وكلاهما كاثوليكي] يتم قتل مليون جنين سنوياً. أما في الولايات المتحدة فيتم إجهاض ١,٥ مليون جنين سنوياً.

وقد ذكرت مجلة النيوزويك ١٩٨٩ الدراسات التي أجريت حول الإجهاض في الولايات المتحدة والتي تقول أن نصيب السود من الإجهاض ضعف نصيب البيض وأن معظم حالات الإجهاض تتم لفتيات تحت سن العشرين<sup>(٢)</sup>.

وتوضح الدراسات أن الإجهاض منتشر بصورة ذرية في الفيليبين [أغلب سكانها كاثوليك] وفي مانيتا العاصمة يتم إجهاض ما لا يقل عن مائة ألف امرأة سنوياً.

وأخيراً أصبح الإجهاض يستخدم لقتل البنات وذلك بعد أن تقدمت الوسائل الطبية لمعرفة جنس الجنين بواسطة الموجات فوق الصوتية [السونار]—

Time: August 6. 1984.

(١)

Newsweek; July 17, 1989: The Future of Abortion P 32-40.

(٢)

[Ultra Sound]. وقد نشرت التايم الأمريكية [٤ يناير ١٩٨٨] (١) تحقيقاً وافياً عن جريمة وأد البنات العصرية جاء فيه أن في مدينة بومباي في الهند أكثر من خمسمائة عيادة لمعرفة جنس الجنين وبالتالي لإجهاضه إذا كانت بنتاً. وانتشرت هذه العيادات أيضاً في الصين وعندما يتبين أن المرأة تحمل أنثى فإن الإجهاض يتم في معظم تلك الحالات رغم أن الجنين يكون قد تجاوز أربعة أشهر بيقين. وهذه العيادات موجودة أيضاً كما تقول التايم الأمريكية في أوروبا والولايات المتحدة وغيرها من الأقطار وتقوم بإجهاض الجنين إذا كان جنسه غير مرغوب فيه.

ويقول كتاب «التحكم في الخصوبة الإنسانية» (Human Fertility Control) (٢): «لقد وجدت معظم الدول أنها تحتاج إلى إباحة الإجهاض المقنن بسبب التغييرات الاجتماعية التي حدثت فيها، كما أن بعض الدول وخاصة دول العالم الثالث مثل الصين، تعتبر الإجهاض وسيلة من وسائل تحديد النسل».

«ومع هذا فإن معظم الناس يعترفون بأن إباحة الإجهاض خطأ في حد ذاته. وليس الإجهاض هو الوسيلة الصحية لحل مجموعة من المشاكل الاجتماعية المعقدة. وتواجه الكنيسة في الدول الغربية موقفاً صعباً، فإن هي صغت لتعاليم الإنجيل التي تقدّس الحياة منذ اللحظات الأولى والتي تعارض الإجهاض (٣) فإنها ستفقد عدداً كبيراً من أتباعها واشتراكاتهم وتبرعاتهم، وإن

---

Time Magazine Jan 4, 1988: 46-47.

(١)

(٢) ص ٢٣٧ - ٢٦٢.

(٣) كانت الكنيسة تعتبر مرتكب الإجهاض قاتلاً وتحكم عليه بالإعدام وذلك منذ أن أصدر مؤتمر القسطنطينية السادس حكمه بأن مرتكب الإجهاض قاتل وقد استمر ذلك الحكم في أوروبا إلى القرن السابع عشر الميلادي. وتختلف الكنائس في موقفها من الإجهاض فالكاثوليك والأقباط والأرثوذكس يحرمون الإجهاض إلى اليوم. وأما البروتستانت فموقفهم مائع وقد أباحت الكنيسة الإنجيليكانية الإجهاض منذ عام ١٩٦٧.

هي أيديت الإجهاض صراحة كانت في موقف مناقض لتعاليم الإنجيل . ولذا فإن الكنيسة [البروتستانتية] تتخذ موقفاً غامضاً بعض الشيء وغير معارض للإجهاض في نفس الوقت . ويرجع ذلك إلى خوف رجال الكنيسة من فقدان الأتباع وأموالهم»<sup>(١)</sup> .

«وأما السياسيون فموقفهم يتبع استطلاعات الرأي العام حتى لا يفقدوا رضى الناخبين . وموقف الرأي العام تشكله كيف نشاء أجهزة الإعلام القوية!!» .

### الوضع القانوني للإجهاض:

لقد حرمت القوانين القديمة الإجهاض وذلك مثل قانون هامورابي في العراق والفرعنة في مصر كما حرمت التوراة الإجهاض . وكان أشد تلك القوانين صرامة قانون الكنيسة الكاثوليكية الذي أصدره المجمع السادس المنعقد في القسطنطينية في القرن السابع الميلادي والذي جعل عقوبة الإجهاض، القتل لكل من شارك في هذه العملية الإجرامية .

واستمر الأمر على ذلك في أوروبا إلى القرن السابع عشر فقد صدر قانون يحكم بإعدام مرتكبي جريمة الإجهاض عام ١٦٤٩ في روسيا بينما صدر قانون مماثل في بريطانيا عام ١٥٢٤ وفي ألمانيا عام ١٥٣١ وفي فرنسا عام ١٥٦٢ .

وتطوّر قانون الإعدام في عصر النهضة وحُفّف إلى الأشغال الشاقة مع السجن والغرامة وشطب اسم الطبيب من سجل المهنة الطبيّة . . وفي عام ١٩٢٩ صدر قانون يبيح الإجهاض إذا تعرضت صحة الحامل للخطر إذا هي استمرت في الحمل وأما ما عدا ذلك فإن الإجهاض كان يعتبر جريمة في بريطانيا ودول أوروبا ودول العالم قاطبة .

---

(١) صدق الله العظيم حيث يقول: ﴿إن كثيراً من الأبحار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل﴾ سورة التوبة: الآية ٣٤ .

وكان الاتحاد السوفييتي أول دولة في العالم تبيح الإجهاض وذلك عام ١٩٢٠ ثم قام سنالين عام ١٩٣٦ بإلغاء ذلك القانون نتيجة حدوث عدد كبير من الوفيات وأعداد أكبر من المضاعفات [الاختلاطات] . . ولكن موجة الإجهاض بدأت مرة أخرى وكان الاتحاد السوفييتي من أوائل الدول التي أباحته [عام ١٩٥٥]. وتبعته كثير من الدول الاشتراكية.

وتعتبر اليابان أول دولة آسيوية تبيح الإجهاض فقد أباحته عام ١٩٤٨ ولا يزال الإجهاض في اليابان من وسائل تحديد النسل إذ أن اليابان رغم تقدمها الصناعي الباهر لم تتمكن من صناعة حبوب منع الحمل . . واليابانيات لا يقبلن عليها لما كان للحبوب السابقة ذات المستوى المرتفع من الهرمون من أعراض جانبية كثيرة . . ويحدث في اليابان حوالي ثلاثة ملايين حالة إجهاض سنوياً.

وفي بداية الستينات أباحت الدول الاسكندنافية الإجهاض وفي عام ١٩٦٧ أباحت بريطانيا وهاتي الإجهاض وتبعته الولايات المتحدة عام ١٩٧٣، ثم انتشر الإجهاض في كثير من دول العالم بقوانين مختلفة في التفاصيل.

ولا تزال الدول الإسلامية (عرباً وعجماً) تمنع الإجهاض ما عدا تونس التي أباحت الإجهاض على إطلاقه وحسب طلب المرأة الحامل في الأشهر الثلاثة الأولى، وبعد الأشهر الثلاثة الأولى إذا خشي من انهيار صحة الحامل أو اتزانها العقلي أو توقع ولادة جنين مشوه. [القانون التونسي رقم ٧٣ - ٧٥ بتاريخ ١٩/١١/١٩٧٣ الفصل ٢١٤]، وتبيح اليمن الإجهاض إذا كان قبل نفخ الروح [١٢٠ يوماً منذ بدء الحمل وحدث التلقيح] بناء على ما جاء في المذهب الزيدي ولو بأدنى عذر.

وكذلك تبيح تركيا الإجهاض مع وجود قيود خفيفة. أما بقية الدول الإسلامية [عربية وأعجمية] فإنها تمنع الإجهاض وتعاقب عليه ما لم يكن هناك مرض في المرأة الحامل يستدعي الإجهاض أو أن الجنين مشوه تشوهاً شديداً.

وهناك جهود حثيثة في الولايات المتحدة لتقييد قانون الإجهاض الصادر

عام ١٩٧٣ وجعله أشد صعوبة. وهناك أصوات قوية تدعو لإلغاء هذا القانون. . والمعركة لا تزال مستمرة بين أنصار الإجهاض والذين يرون وجوب إلغاء هذا القانون.

## الموقف الشرعي من الإجهاض:

ينبني الموقف الشرعي على عدة قواعد ثابتة نوجزها فيما يلي:

### ١ - حرمة الأنفس وعصمتها:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾<sup>(١)</sup> وللجنين نفس، وهي تمر بمراحل وأطوار، وتزداد حرمتها مع مرور الأيام حتى إذا نفخت الروح بلغت أوج حرمتها. قال الإمام الغزالي في الإحياء<sup>(٢)</sup>: «وليس هذا [أي العزل] كالإجهاض والوآد، لأن ذلك جنابة على مولود حاصل. وأول مراتب الوجود أن تقع النطفة في الرحم وتختلط بماء المرأة وتستعد لقبول الحياة، وإفساد ذلك جنابة، فإن صارت نطفة فعلاقة كانت الجنابة أفحش، وإن نفخ فيه الروح واستوت الخلقة ازدادت الجنابة تفاحشاً. ومنتهى التفاحش في الجنابة هي بعد الانفصال حياً».

وقد استدلل الفقهاء على تحريم إسقاط الجنين في المراحل الأولى [قبل نفخ الروح] بقياسه على تحريم كسر بيض الحرم بالنسبة للمحرم. ومن كسر بيض الحرم أو أفسده فعليه إثم وعليه أيضاً جزاء. وقد روي عن النبي ﷺ أنه أتى ببيض نعام وهو محرم فقال: (إنا قوم حرم، أطعموه أهل الجِل).

فيذا حُرِّمَ تناول أو إفساد بيض الحرم لاعتبار مآله فكذلك يحرم قتل الجنين في مراحل الأولى باعتبار مآله<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة الأنعام: الآية ١٥١.

(٢) الإحياء ج ٢: ٦٥.

(٣) الشوكاني: نيل الأوطار ج ٥: ٢٠.

وقد دعى الإسلام للمحافظة على هذا الجنين وأباح للحامل الفطر في شهر رمضان إذا خشيت على جنينها، كما أن العقوبات البدنية [الحدود] المستحقة على الحامل تؤجل حتى تضع حملها وما ذلك إلا حرصاً على هذا الجنين. ومعلوم حديث الغامدية التي اعترفت بالزنا وهي حامل فأبى الرسول الكريم الشفيق الرحيم ﷺ أن يحدها حتى وضعت حملها وأرضعته وفطمته. . وكذلك حديث المرأة من جهينة التي أبى النبي أن يحدها وهي حامل بعد أن اعترفت بالزنا.

وللجنين، في الإسلام، أهلية وجوب ناقصة: له حقوق كثيرة وليس عليه أي واجب من الواجبات. ولو مات مورثه حُجز نصيبه من التركة حتى يخرج من ظلمة الرحم. كما يثبت له حق الإنفاق وحق النسب من أبيه وتمتنع أمه من الزواج [بعد موت أو طلاق] حتى تَلِدَهُ حفاظاً على هذا النسب.

## ٢ - نفخ الروح:

يعتبر وقت نفخ الروح علامة فارقة وهامة. . وتتضاعف العقوبة على قتل هذا الجنين بعد نفخ الروح. . ولن نناقش ها هنا مبحث نفخ الروح فقد ناقشنا ذلك في مواضع أخرى<sup>(١)</sup> ولكن يهمنا ها هنا أن نذكر حديثين صحيحين لدلالتهما على هذا التوقيت وهما:

الحديث الأول: أخرج الشيخان البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق، قال: (إن أحدكم يجمع خلقه أربعين يوماً ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح). اللفظ لمسلم.

الحديث الثاني: أخرج مسلم في صحيحه عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله ملكاً

(١) د. محمد علي البار: الجنين المشوّه والأمراض الوراثية. دار المنارة - جدة، ودار القلم - دمشق ١٩٩١: ٣٧٧ - ٤١٥.

فصوّرها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال: يا رب أذكر أم أنثى، فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك. ثم يخرج الملك بالصحيفة من يده فلا يزيد على ما أمر به ولا ينقص).

ولا شك أن الجنين يمر بمراحل متعددة أثناء نموه وتعتبر مرحلة الأربعين مرحلة ذات أهمية بالغة حتى تمثل تكون الأعضاء المختلفة (Organogenesis)، بينما تمثل مرحلة ١٢٠ يوماً (منذ التلقيح) مرحلة أشد أهمية حيث أظهرت الأبحاث الحديثة أن المناطق المخية العليا تبدأ في السيطرة على المناطق التي تحتها وتبدأ التشابكات العصبية ويمكن تسجيل رسم الدماغ [تخطيط المخ] من الجنين في هذه الفترة. وقد أثبت البروفسور كورين من الولايات المتحدة أن خلايا قشرة الدماغ (Cerebral Cortex)، وهي المراكز العليا في الدماغ، لا تبدأ بالاتصال بالمناطق التي تحتها إلا في بداية الأسبوع العشرين من الحمل<sup>(١)</sup>. (وبما أن حساب الحمل عند أخصائيي التوليد يحسب من آخر حيضة حاضتها المرأة لا من بداية التلقيح فإن ١٢٠ يوماً من بداية التلقيح تساوي ١٣٤ يوماً من آخر حيضة حاضتها المرأة، وذلك يساوي ١٩ أسبوعاً و يوماً واحداً أي بداية الأسبوع العشرين).

ولذا، فإن ما جاء في الحديثين الشريفين يدل على إعجاز طبي عظيم ففي حديث حذيفة أخبرنا المصطفى أن الذكورة والأنوثة يحددها الملك في نهاية فترة الأربعين الأولى وقد أوضح علم الأجنة الحديث أن الغدة التناسلية تكون غير متميزة قبل الأربعين وبالتالي لا يمكن معرفة جنس الجنين إذا سقط في هذه الفترة بتشريح الغدة التناسلية. ولا يمكن معرفة جنسه إلا بفحص الكروموسومات فإن كانت (XX) كان الجنين أنثى وإن كانت (XY) كان الجنين ذكراً.

(١) جوليس كورين: بحث عن تكون دماغ الجنين، المؤتمر العالمي للقضايا الأخلاقية والقانونية لزوع الأعضاء، أوتوا كندا [٢٠ - ٢٥ أغسطس ١٩٨٩] انظر ملخص الأبحاث.

ولهذا فإن للجنين مستويين هامين: الأول عند بلوغه الأربعين وفيها يتم تكون الأعضاء الأساسية وجذع الدماغ والثاني عند بلوغه ١٢٠ يوماً وفيها يتم تكوّن الدماغ وارتباط قشرة المخ بما تحتها وتبدأ بالتالي عملها، وهو المستوى الإنساني الرفيع حيث يظهر الإحساس والشعور وما يتبعه بعد ذلك من إدراك وفهم وذكاء... إلخ.

لذا فإن الفقهاء مجمعون على حرمة قتل الجنين بعد مرور ١٢٠ يوماً [منذ التلقيح] وجميع المذاهب الإسلامية على ذلك بما فيها الاثني عشرية [الجعفرية] والزيدية والأباضية ولا يسمح بالإجهاض إلا إذا كان الحمل يشكل خطراً جسيماً على حياة الحامل فتقدم آنذاك حياتها على حياته، وهذا ما أخذ به كثير من الفقهاء المحدثين من أمثال الشيخ شلتوت والشيخ القرضاوي والمجامع الفقهية.

### آراء الفقهاء في الإجهاض قبل نفخ الروح [أي قبل ١٢٠ يوماً]:

ينقسم الفقهاء إلى فئات ثلاث في هذه النقطة:

**الفئة الأولى:** ويمثلها القول الراجح لدى المالكية والإمام الغزالي في الشافعية وابن رجب الحنبلي من الحنابلة وهم يحرمون الإجهاض منذ اللحظة التي تستقر فيها النطفة في الرحم، ولا يسمحون بالإجهاض إلا إذا تعرضت حياة الحامل للخطر وأصبح الإجهاض ضرورياً لإنقاذ حياتها.

**الفئة الثانية:** ويمثلها جمهور فقهاء الشافعية والأحناف والحنابلة والاثني عشرية [الجعفرية الإمامية] وهم يبيحون الإجهاض إذا تمّ قبل نهاية الأربعين الأولى من الحمل [تحسب منذ لحظة التلقيح لا من آخر حيضة حاضتها المرأة] عند وجود أدنى سبب مثل مرض الأم أو أن هناك طفلاً رضيعاً للمرأة ولا مرضع له غير أمه الحامل وبذلك سيتعرض الرضيع للخطر. ويجيز بعضهم الإجهاض في هذه الفترة إذا كان الحمل ناتجاً عن الاغتصاب.



الفئة الثالثة : ويمثلها الزيدية وبعض الأحناف وبعض الحنابلة وبعض الشافعية ويبيحون الإسقاط قبل نفخ الروح [أي ١٢٠ يوماً] عند وجود سبب لذلك ويشترطون موافقة الزوج على ذلك<sup>(١)</sup>.

وجاء في كتاب الإنصاف للمراي وهو من علماء الحنابلة: «وقال في الفروع: وظاهر كلام ابن عقيل في الفنون أنه يجوز إسقاطه قبل نفخ الروح». وقال ابن عابدين [وهو من علماء الأحناف] في الحاشية على كتاب الدر المختار:

«قال في النهر [اسم كتاب]: هل يباح الإسقاط بعد الحمل؟ نعم يباح ما لم يتخلق منه شيء إلا بعد مائة وعشرين يوماً». قال ابن عابدين معلقاً على ذلك: «وهذا يقتضي أنهم أرادوا بالتخليق نفخ الروح، وإلا فهو غلط لأن التخليق (Organogenesis) يتحقق قبل هذه المدة».

وهكذا يتضح أن جميع الفرق والمذاهب الإسلامية تمنع الإجهاض منعاً باتاً ولو كان الجنين مشوهاً تشويهاً شديداً بعد نفخ الروح [أي بعد ١٢٠ يوماً من التلقيح] ولا تسمح به إلا إذا كان استمرار الحمل سيؤدي إلى قتل الأم الحامل. ثم يختلف الفقهاء بعد ذلك فمنهم من لا يسمح بالإجهاض مطلقاً إلا إذا كان الحمل سيؤدي إلى وفاة الحامل، ومنهم من يسمح به في حدود الأربعين عند وجود مرض أو عدم وجود مرض ومنهم من يسمح بالإجهاض طالما كان قبل ١٢٠ يوماً عند وجود سبب قوي لذلك وإن لم يبلغ حد الخطر على حياة الأم.

وقد أصدر المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي قراراً هاماً في دورته الثانية عشرة [١٥ رجب ١٤١٠هـ الموافق ١٠ فبراير ١٩٩٠م] حيث أباح

---

(١) فتوى رئيس المحكمة الاستئنافية في صنعاء اليمن في ٢٢ محرم ١٣٨٨هـ وبحث الدكتور حسن الشاذلي في ندوة الإنجاب، الكويت ص ٣٩٧.

إجهاض الجنين المشوه تشوهاً شديداً بشرط أن يكون ذلك بقرار لجنة من الأطباء المختصين وبشرط أن يتم الإجهاض قبل مرور ١٢٠ يوماً تحسب منذ لحظة التلقيح<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

---

(١) قرارات مجمع الفقه الإسلامي، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة ومنقول نصه في كتاب «الجنين المشوه والأمراض الوراثية» لكاتب هذه السطور. [ص ٤٣٨].

## (ج) وسائل منع الحمل المؤقتة

لقد ناقشت هذه الوسائل بالتفصيل في كتابي «سياسة ووسائل تحديد النسل في الماضي والحاضر» ولهذا سأكتفي هاهنا بعرض موجز سريع لأهمها .

### ١ - الوسائل الفسيولوجية :

وهي مجموعة من الوسائل التي استخدمت منذ أقدم العصور ولا تزال تستخدم إلى اليوم . وبما أنها وسائل فسيولوجية فإنها تعتبر خالية من الأضرار إلاّ فيما ندر كما يحدث في العزل (Onanism, Coitus interruptus) حيث يصاب قلة ممن يعزلون بالقلق والتوتر وربما العنة، كما قد تصاب المرأة بالبرود الجنسي . وأهم عيب لهذه الطريقة أن نسبة الفشل عالية وقد تصل إلى نسبة ٢٠ - ٣٠ بالمئة في السنة [أي أن ٢٠ - ٣٠ بالمئة ممن يمارسون هذه الوسيلة قد يحدث لزوجاتهم حمل خلال عام] وأهم هذه الوسائل هي :

(أ) الرضاعة : وهي من الوسائل الهامة جداً لمنع الحمل على مدى القرون والأجيال . يقول الدكتور جليود :<sup>(١)</sup> «يبدو أن الرضاعة تقوم بمنع الحمل لملايين النساء في العالم، ولو قامت النساء بإرضاع أطفالهن إرضاعاً تاماً فإن الخصوبة في ذلك المجتمع تقل وربما أدت إلى نتائج تفوق استعمال وسائل منع الحمل الأخرى مجتمعة» .

---

Cuillebaud J: The Pill. oxford Universty Press, 3 rd edition, 1987: 15. (١)

(ب) العزل: وأول من عزل هو أونان بن يهوذا بن يعقوب عليه السلام كما جاء في التوراة المحرفة<sup>(١)</sup> عندما تزوج أرملة أخيه ليهب له نسلًا [في عقائدهم أن المرأة إذا مات زوجها وجب على أحد أقاربه أن يتزوجها فإن لم يكن للبيت نسل، فإن أول بكر تنتجيه ينسب للبيت!!]، فكره أونان أن يهب لأخيه نسلًا فنزح وأنزل على الأرض فغضب الرب - حسب زعمهم - لذلك فأماته!!

وقد كان العرب يعزلون قبل الإسلام وبعده وقد وردت في العزل أحاديث كثيرة تدل على إباحته، والمذاهب الأربعة لدى أهل السنة يبيحون العزل عن الجارية بإذن وبدون إذن وعن الزوجة بإذنها .

ولا يزال العزل (Onanism, Coitus interruptus) يستخدم ويذكر الدكتور جلבוד أن من يستخدمون العزل في المملكة المتحدة (عام ١٩٨٢) كانوا في حدود ١٥ بالمئة بالمقارنة مع ٢٦ بالمئة يستخدمون حبوب منع الحمل و ٢٥ بالمئة يستخدمون الرفال (الكبود، الكوندوم) و ٤, ٥ بالمئة يستعملن اللولب و ٤ بالمئة يستعملن القبعة و ٢ بالمئة يستعملن الفترة الآمنة و ٧ بالمئة قد تم تعقيمنهن و ١٠ بالمئة يعانين من العقم أصلاً.

(ج) المفاحضة (الاتصال بدون إيلاج): ويتم الإنزال بين الفخذين ولا يحدث حمل في مثل هذه الاتصال إلا في النادر جداً.

(د) الجماع في الفترة الآمنة: بما أن المرأة تفرز بيضة مرة واحدة في الشهر وعادة ما يكون في اليوم الرابع عشر من بدء الحيض فإن تجنب الجماع قبل ذلك لعدة أيام وبعده بيومين أو ثلاثة يؤدي إلى تجنب الحمل إذا كانت العادة الشهرية منتظمة .

(هـ) الامتناع عن غشيان الزوجة فترة معينة: وهو أمر كان العرب

---

(١) سفر التكوين الإصحاح ٣٨: ٦ - ١٠ .

يفعلونه حيث يمتنعون عن غشيان الزوجة إذا كانت مرضعاً خشية أن تحمل فيضعف الجنين وفي الحديث: (لا تقتلوا أولادكم سرّاً فإن الغيل [وطء المرضع] يدرك الفارس فيدعثره) [من فوق فرسه] أخرجه أحمد في مسنده. ثم أباح الرسول إتيان المرضع لما رأى المشقة عليهم في ذلك.

وفي كثير من قبائل أفريقيا فإن الزوج يمتنع طواعياً عن غشيان الزوجة في فترة الرضاعة. ومما يساعد على ذلك أن تكون له زوجة أخرى.

## ٢ - الوسائل الميكانيكية:

وهذه الطرق تعتمد على إيجاد حاجز يمنع وصول المنى إلى الرحم وأهم هذه الوسائل ما يلي:

(أ) الرفال (القراب، الغلاف الواقي): (Condom)، انتشر استخدام الرفال في عقد الثمانينات انتشاراً واسعاً بعد ظهور مرض الإيدز وقد بلغت الوقاحة بالحكومات الغربية أن تعلن عن أهمية استخدام الرفال (الكوندوم) في التلفزيون والإذاعة والصحافة، بل وفي الشوارع حيث تظهر اللوحات المضئية: استعمل الكوندوم.. لا تنس الكوندوم!! الكوندوم قبل النوم!! وأصبحت كثير من النساء في الغرب يحملن في حقائبهن الكوندوم فإذا التقت رجلاً أعجبها وأرادت الوقاع معه ناولته الكوندوم!!

ورغم أن الكوندوم يمنع الحمل ويحدّ من انتشار الأمراض الجنسية ومنها الإيدز إلا أنه بكل تأكيد لا يمنعها.. وقد باءت حملات الكوندوم بالفشل في منع انتشار مرض الإيدز والأمراض الجنسية الأخرى الناتجة عن الزنا واللواط.. وحل هذه المشكلة لا يتم باستخدام الكوندوم بل بالامتناع عن الزنا واللواط، ولكن أتى للغرب الواقع في حبال الشيطان والشهوات أن يفيق من سدرته وغية وضلاله.

(ب) الحاجز المهبلي (القبة الهولندية): (Dutch cap, Vaginal Diaphragm)، الحاجز المهبلي هو عبارة عن حاجز مطاطي بحلقة معدنية

سميكة تستعملها المرأة موضعياً بحيث تغطي سقف المهبل بما فيه عنق الرحم . . وتسميه العامة في مصر «العجلة» وانتشارها محدود جداً في العالم الثالث وفي البلاد الإسلامية على الخصوص لصعوبة استعمالها ولخدش الحياء عند وضعها . . .

(ج) القبعة الرحمية: وهي قبعة تصنع من المطاط اللدن لتغطية عنق الرحم . . وهي كذلك قليلة الرواج وخاصة في بلاد المسلمين .

(د) إسفنجة المهبل: (Vaginal Sponge)، وتعتمد على إدخال إسفنجة من مادة البولي يوريثان (مشتقات البترول) وبها مادة قاتلة للحيوانات المنوية وتضعها المرأة في فرجها قبل الجماع بسويغات ثم تتركها إذا شاءت لعدة أيام ثم تخرجها لتستعمل أخرى عند الحاجة وهذه الطريقة مرشحة للانتشار ليسرها ورخص ثمنها وسهولة وضعها .

(هـ) اللولب (الأجهزة الرحمية): (Intra utrine Device, Loop)، اشتهرت هذه الأجهزة الرحمية التي تستخدم لمنع الحمل باسم اللولب لأن واحداً منها كان على شكل اللولب . وهي أنواع عديدة ولها مخاطر ولذا ينبغي أن لا تستخدم إلا بعد إجراء فحص طبي شامل . وأما ما تفعله بعض حكومات العالم الثالث مثل الهند ومصر من وضع الجهاز دون فحص طبي وأحياناً كثيرة دون علم المرأة فهو أمر منافٍ للأخلاق والطب . . ولا ينبغي أن تستخدم هذا الجهاز إلا امرأة لديها عدد كاف من الأطفال لأنه قد يسبب فيما يسبب العقم .

ويمنع استخدام الجهاز [اللولب] بعد الولادة أو الإجهاض مباشرة وعند وجود إثنان [التهاب] في الجهاز التناسلي للمرأة وعند وجود ورم ليفي أو عيوب خلقية في الرحم وعند احتمال وجود حمل، وإذا كانت المرأة قد أُجريت لها في السابق عملية قيصرية أو شق الرحم لأي سبب آخر، وعند وجود مرض في القلب وخاصة عند وجود إصابة في أحد صمامات القلب .

ونتيجة كثرة مضاعفات اللولب فإن استخدامه قد انخفض كثيراً في الولايات المتحدة وأوروبا وللأسف لا يزال يستعمل على نطاق واسع في البلاد المتخلفة مثل الهند والصين ومصر والتي لا تهتم حكوماتها إلا بإيجاد أي وسيلة للححد من زيادة السكان ولو كان ذلك بتعريض النساء للأمراض .

ومضاعفات الجهاز الرحمي [اللولب] كثيرة منها: النزف وزيادة دم الطمث، وانتقاب الرحم [أمر نادر] وآلام الظهر وطرده الجهاز، وحدوث حمل، والتهاب الرحم والحوض وحدوث عقم نتيجة التهاب الأنابيب. وتقدر الوفيات بعشرين امرأة من كل مليون يستخدمن اللولب .

(و) قاتلات الحيوانات المنوية: وتستخدم على هيئة كريم أو مرهم أو لبوس [تحميلة مهبلية، فرزجة]. وعادة ما تستخدم هذه المواد مع الموانع الميكانيكية لتزيد من فعاليتها. وأكثر المواد استعمالاً هي مادة (Non Oxynol - 9) التي تستعمل على هيئة كريم أو غشاء رقيق أو تحاميل [لبوس] أو أقراص مهبلية، وعند عدم توفرها يمكن استخدام محلول الخل المخفف أو الليمون في المهبل . . وتوضع نصف ليمونة مقلوبة في المهبل لتغطي عنق الرحم فتكون بذلك واقية ميكانيكياً وكيميائياً.

### ٣ - الوسائل الهرمونية لمنع الحمل :

مدى الانتشار :

لا شك أن أكثر وسائل منع الحمل انتشاراً اليوم هي الحبوب المركبة من مشتقات الاوستروجين والبروجسترون . وهناك ما لا يقل عن سبعين مليون امرأة يستخدمن هذه الحبوب يومياً . وهناك مئات الملايين من النساء اللاتي استخدمن هذه الحبوب في مرحلة ما من حياتهن التناسلية .

ورغم مضي أكثر من ربع قرن على ظهور هذه الحبوب في الأسواق، والتغيرات الكبيرة التي حدثت في تركيبها منذ ذلك الحين إلا أن المجالات

الطبية تصدر كل يوم العديد من الأبحاث عن مخاطر هذه الحبوب على الصحة .

وفي بحث أجري على ألف امرأة من بريطانيا يستخدمن حبوب منع الحمل أجاب ثلثهن بأن الحبوب تسبب لهن أعراضاً جانبية مزعجة وأن صحتهن تتأثر تأثراً سيئاً باستخدام هذه الحبوب .

ومع هذا فإن استخدام حبوب منع الحمل أصبح ظاهرة عالمية، لسهولة استعمالها ورخص ثمنها وتوفرها – للأسف – بدون وصفة طبية في دول العالم الثالث .

ورغم الحاجة الماسة لهذه الوسيلة من وسائل منع الحمل إلا أن الوضع الحالي في معظم دول العالم الثالث يؤدي إلى كارثة صحية إذ أن النساء يحصلن على هذا العقار الفعال والذي له أضرار كثيرة، دون مشورة طبية .

**مميزات وأضرار حبوب منع الحمل :**

**(الحبوب المشتركة) (Combiend pill) :**

**مميزات حبوب منع الحمل :**

بعد أن استعرضنا الأضرار الجانبية، العديدة التي تصحب استعمال حبوب منع الحمل ينبغي علينا أن نذكر الفوائد والمميزات الموجودة في حبوب منع الحمل، ونجملها فيما يلي :

١ – الحبوب وسيلة فعالة جداً في منع الحمل : وتبلغ نتيجة النجاح ما بين ٩٩ و ٩٩,٩ بالمئة .

٢ – الحبوب وسيلة سهلة جداً لمنع الحمل، ومتوفرة، ولا توجد مشكلة في العثور على الحبوب، وهي رخيصة الثمن، وتدفع بعض حكومات دول العالم الثالث جزءاً من ثمن هذه الحبوب لتوفرها بتمن بخس للجمهور . كما أن الهيئات الدولية المهتمة بنشر وسائل منع الحمل وبعض المنظمات



العالمية والولايات المتحدة تدفع مبالغ طائلة لتوفير الحبوب لسكان العالم الثالث بثمان رمزي .

٣ - يؤدي استعمال الحبوب إلى اختفاء آلام الدورة الشهرية وعسر الطمث .

٤ - يؤدي استعمال الحبوب إلى تحسن فقر الدم إذا كان موجوداً بسبب النزف الشهري الشديد الذي تعاني منه بعض النساء بسبب غزارة الطمث .

٥ - تؤدي الحبوب إلى خفض نسبة احتمال الإصابة بأورام المبايض وخفض نسبة الإصابة بورم جسم الرحم، وخفض نسبة الإصابة بالتكيسات الليفية في الثدي .

٦ - تؤدي الحبوب إلى خفض الإحساس بالتوتر الذي يحدث قبل نزول الطمث (Premenstrual Fension) .

### أضرار حبوب منع الحمل :

١ - زيادة في الأمراض الجنسية التناسلية .

٢ - زيادة في الأمراض البولية .

٣ - زيادة في ارتفاع ضغط الدم .

٤ - زيادة في حدوث الخثرات والانصمام (Thromboembolic Disease) وتحدث الخثرات في الأردة في الساقين وخثرات في القلب وفي الأوعية الدموية للدماغ وانصمام رئوي (Palmans Enbolis) .

٥ - زيادة في الإصابة بأمراض الكبد والمرارة، واحتمال ظهور ورم غدي في الكبد .

٦ - زيادة في حدوث الكآبة والقلق والأمراض النفسية .

- ٧ - زيادة في حدوث البول السكري .
- ٨ - زيادة في حدوث ارتفاع في دهنيات الدم .
- ٩ - زيادة في الوزن .
- ١٠ - سقوط الشعر .
- ١١ - توقف الطمث .
- ١٢ - زيادة في حدوث سرطان عنق الرحم ، وزيادة في حدوث سرطان الثدي ، وزيادة في ورم الكبد الغدي .
- ١٣ - يصحب استعمال الحبوب غثيان ودوخة وآلام عامة لدى بعض النساء وإجهاد عام .
- ١٤ - يصحب استعمال الحبوب آلام في المعدة والجهاز الهضمي .
- ١٥ - زيادة في التوتر وحساسية الثديين واحتمال زيادة في سرطان الثدي .
- ١٦ - تحدث نوبات صداع ، وتزداد نوبات الشقيقة في شدتها وكثرة ترددها لمن كانت تعاني من قبل من الشقيقة إذا هي استعملت الحبوب .
- ١٧ - فقدان الرغبة الجنسية .

#### ٤ - وسائل منع الحمل الدائمة [التعقيم]:

لم تكن وسيلة التعقيم معروفة ومنتشرة في الماضي سوى ما كان يجري للعبيد من الخصاء وقد ندد الإسلام بالاختصاء واعتبره وسيلة من وسائل تغيير خلق الله . وقد أخرج البخاري ومسلم والترمذي والنسائي أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : «لولا أن رسول الله ﷺ ردَّ على عثمان بن مظعون التبتل لاختصينا» .

وفي العصور الحديثة ظهرت عمليات تعقيم الرجال بقطع الحبل المنوي

[الأسهر] وتعقيم النساء بقطع قناني الرحم أو ربطهما أو الاثنين معاً.

وكان أول من قام بقطع الأنابيب [قناني الرحم] جراح من أوهايو في الولايات المتحدة سنة ١٨٨١. وكان السير استلي كوبر (Astely Cooper) قد قام بإجراء تجارب على الكلاب بقطع الجبل المنوي [الأسهر] عام ١٨٢٣. وفي عام ١٨٩٩ قام هاريسون (Harrison) بعمليات قطع الجبل المنوي على زعم أنها تعالج تضخم البروستاتة [الموثة]<sup>(١)</sup>.

وفي أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين كانت عمليات التعقيم للرجال بقطع الجبل المنوي تجرى للمجموعات التالية:

١ - المجرمين.

٢ - الزناة أو اللوطية الذين اعتادوا الزنا واللواط.

٣ - أولئك الذين يمارسون العادة السرية بكثافة ودون القدرة على التوقف عنها!!

ومع ظهور هتلر والحركة النازية وظهور خرافة الجنس المختار واختيار السلالة النقية، قام أطباء النازي بتعقيم مئات الآلاف من الرجال والنساء الذين يعانون من أمراض أو نوع من التخلف العقلي، أو حتى من وصفوا بعدم الذكاء وشيء من البلادة، كما قاموا بتعقيم الملايين من الأجناس الأخرى المتخلفة<sup>(٢)</sup>.

مدى انتشار التعقيم في العصر الحديث:

ومع ظهور مشكلة الانفجار السكاني قامت الصين بتعقيم ٤٠ مليون شخص ذكوراً وإناثاً. وفي مقاطعة سيشوان (Sischuan) في الصين البالغ تعداد

---

(١) Potts M. Diggory P: Textbook of contraceptive Practice 1983, Cambridge University Press, Cambridge: 245 — 248.

(٢) نفس المرجع السابق.

سكانها مائة مليون نسمة تمّ تعقيم عشرة ملايين رجل ومليونى امرأة خلال عشرة أعوام فقط (١٩٧١ - ١٩٨٠) . ولكن تعقيم النساء في الصين بأكملها يبلغ مرة ونصف تعقيم الرجال . [أي في مقابل كل ثلاث نساء تم تعقيمن، هناك رجلان تم تعقيمنهما] .

وقامت الهند في عهد أنديرا غاندي بتعقيم أكثر من عشرة ملايين شخص من الذكور والإناث قسراً وذلك في حملتها عام ١٩٧٥ . وقد تم تعقيم أكثر من مليون مسلم في الهند قسراً . وتم في الباكستان تعقيم مليون شخص [بدون إكراه] ولكن بدون وجود دواعي طبية<sup>(١)</sup> .

وبحلول عام ١٩٨٠ كان قد تم تعقيم ما يزيد عن مائة مليون شخص في كافة أرجاء المعمورة منهم أربعين مليوناً في الصين و ٢٤ مليوناً في الهند و ١٣ مليوناً في الولايات المتحدة وحوالي تسعة ملايين في أوروبا و ٤,٥ مليون في أمريكا اللاتينية<sup>(٢)</sup> .

### لا وجود لحقوق الإنسان في العالم الثالث:

ومن الواضح جداً أن حقوق الإنسان ليس لها وجود أصلاً في دول العالم الثالث حيث تنتهك حرمة الإنسان في أخصى خصائص جسمه . . ويجري التعقيم قسراً في الصين والهند دون أي مراعاة لأبسط حقوق الإنسان . ومع هذا فإن منظمات الأمم المتحدة والهيئات العالمية والطبية في الغرب التي تشدق بالحديث عن حقوق الإنسان ، كانت تبارك وبقوة حملات أنديرا غاندي للحد من السكان في الهند، وحملات ماوتسي تونج في الصين .

(١) المصدر السابق ص ٢٤٥ - ٢٤٨ وص ٤٨ - ٥٠ .

(٢) كتاب تنظيم الأسرة في المجتمع الإسلامي إصدار الاتحاد العالمي لتنظيم الوالدية - إقليم الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، قرطاج، تونس ص ٨٣ .

Potts M. Diggory P: Textbook of contraceptive Practice. Cambridge University Press, Cambridge 1983: 245 — 248.

## حقوق الإنسان في البلاد المتقدمة :

ولو حدث شيء من هذا القبيل في أوروبا أو الولايات المتحدة لقامت الدنيا ولم تقعد فالإنسان هناك له كرامته ولا يمكن المساس بها من قريب أو بعيد .

## الوضع في البلاد الإسلامية :

والوضع في البلاد الإسلامية يختلف من بلد إلى آخر . وفي معظم البلاد الإسلامية يتم التعقيم بمجرد موافقة الزوجة والزوج ولكن دون شرح للعملية وعواقبها . . وفي معظم البلاد الإسلامية [عربية وأعجمية] يكون المرجع في هذه الحالات هو الطبيب . ولم يحدث قط أن عوقب طبيب لمجرد أنه قام بتعقيم رجل أو امرأة .

وفي الغالب لا يقدم الطبيب على التعقيم إلا إذا كان لدى المرأة عدد من الأطفال [ثلاثة أو أكثر] . . ولكن هذا ليس شرطاً فكثير من الأطباء يقلد ما يجري في بريطانيا والولايات المتحدة . وبما أن هذه البلاد لا تحدد عدداً للأطفال لإجراء التعقيم فكذلك يفعل الطبيب في البلاد الإسلامية مع فارق هام ، وهو غياب الشرح الكامل لأضرار العملية وملابساتها، وغياب القانون الذي يُرعب الأطباء في الغرب عامة وفي الولايات المتحدة خاصة .

ورغم أن تعقيم الرجال لا يجد إقبالاً في معظم البلاد الإسلامية [عربياً وعجمياً] إلا أنه قد تم تعقيم عشرات الملايين في الهند قسراً [في عهد أنديرا غاندي] وتم تعقيم عدة ملايين في باكستان [بدون إكراه ولكن بتشجيع من الحكومات السابقة] . . كما تم إجراء التعقيم لآلاف من الرجال في اليمن الجنوبية وهو بلد صغير لا يزيد سكانه عن المليونين وتشجيع من الدولة .

وأما تعقيم النساء فتشجع عليه كثير من الحكومات ويجرى بصورة متزايدة في كثير من البلاد الإسلامية دون توضيح لمخاطر هذه العملية . . وتجري لغرض تحديد النسل وليس من أجل أسباب طبية بحتة .

وفي بعض البلاد التي يوجد فيها مسلمون ومسيحيون نجد أن التعقيم يكاد يكون محصوراً بين المسلمين ولا يوجد تعقيم لدى المسيحيين كما حصل في أسيوط وهي مدينة يكاد يتعادل فيها الأقباط والمسلمون، ولكن السجلات الرسمية توضح أن التعقيم محصور بين المسلمين فقط<sup>(١)</sup>.

وقد منع الفقهاء إجراء التعقيم لأنه نوع من التبتل وقد نهى رسول الله ﷺ عن الخصاء قال سعد بن أبي وقاص: لولا أن رسول الله ﷺ ردّ على عثمان بن مظعون التبتل لاختصينا. أخرجه الشيخان البخاري ومسلم.

وورد عنه ﷺ أنه قال (ليس منا من خصى أو اختصى)<sup>(٢)</sup>. . . والإسلام يدعو إلى كثرة التناسل كما ورد في الأحاديث الكثيرة في هذا الباب.

لهذا كله صدر قرار مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في الكويت الدورة الخامسة ١٤٠٩/١٩٨٨ بمنع التعقيم ما لم تدع إلى ذلك ضرورة. ونص القرار هو:

«يحرم استئصال القدرة على الإنجاب في الرجل والمرأة وهو ما يعرف بالإعقام أو التعقيم ما لم تدع إلى ذلك الضرورة بمعاييرها الشرعية».

أما استخدام الوسائل المؤقتة لمنع الحمل أو تنظيمه فقد أباحه الفقهاء بناء على ما ورد في أحاديث العزل بشروط، منها أن لا تضر هذه الوسائل المرأة في صحتها أو صحة أولادها أو بالرجل وأن لا يكون هناك ضغط معنوي أو مادي من الدولة أو الهيئات الطبية. وقد أباح جمهور الفقهاء العزل إذا تم ذلك برضا الزوجين ويقاس عليه وسائل منع الحمل المؤقتة الأخرى.



(١) د. حسان حنوت: ندوة الإنجاب في ضوء الإسلام، إصدار المنظمة الإسلامية للعلوم

الطبية الكويت [١١ شعبان ١٤٠٣هـ/ ٢٤ مايو ١٩٨٣م] ص ١٨٣ - ١٨٧.

(٢) أخرجه الطبراني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

# المراجع

## ( أ ) المراجع باللغة العربية :

- (١) القرآن الكريم .
- (٢) محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، كتاب الشعب، القاهرة .
- (٣) محمد بن محمد بن سليمان : جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد، تخريج السيد عبد الله هاشم اليماني، المدينة المنورة ١٣٨١هـ / ١٩٦١ .
- (٤) د. محمد علي البار: سياسة ووسائل تحديد النسل في الماضي والحاضر، العصر الحديث، بيروت ١٩٩١ .
- (٥) د. محمد علي البار: الجنين المشوه والأمراض الوراثية، دار المنارة، جدة، ودار القلم، دمشق ١٩٩١ .
- (٦) الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس، القاهرة .
- (٧) وقائع ندوة الأمن الغذائي في العالم الإسلامي [عمان، الأردن: ٥ - ٧ ديسمبر ١٩٨٧] المنظمة الأكاديمية الإسلامية - عمان - الأردن .
- (٨) د. أحمد عبد السلام هببة: الإنتاج الغذائي في الوطن الإسلامي، عالم الكتب، بيروت ومكتبة المتنبي القاهرة .
- (٩) د. أحمد شقلية: جغرافية العالم الإسلامي، مكتبة السوادي، جدة ١٩٨٦ .

- (١٠) برنامج الأمن الغذائي، المنظمة العربية للتنمية الزراعية - الجامعة العربية - أغسطس ١٩٨٠ .
- (١١) ابن خلدون، المقدمة، دار الكتاب العربي، الطبعة الخامسة، بيروت .
- (١٢) حقائق وأرقام - إصدار شركة أرامكو - الظهران المملكة العربية السعودية ١٩٧٩ - ١٩٨٧ .
- (١٣) أبو الأعلى المودودي، مسألة تحديد النسل، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٧٥ .
- (١٤) د. محمد سعيد البوطي، مسألة تحديد النسل وقاية وعلاجاً، مكتبة الفارابي، دمشق، الطبعة الثانية .
- (١٥) أم كلثوم يحيى الخطيب، قضية تحديد النسل في الشريعة الإسلامية، الدار السعودية للنشر جدة ١٩٨٢ .
- (١٦) الاتحاد العالمي لتنظيم الوالدية (إقليم الشرق الأوسط)، تنظيم الأسرة في المجتمعات الإسلامية، جمع وإعداد د. حسن سعيد الكرمي ود. عبد الرحيم عمران ود. محمود زايد، قرطاج، تونس .
- (١٧) المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، ندوة الإنجاب في ضوء الإسلام، الكويت ١٩٨٢ .
- (١٨) مجلة مجمع الفقه الإسلامي العدد الخامس ١٤٠٩ هـ ج ١ : ٧٦ - ٧٤٨ [أبحاث مقدمة إلى مجمع الفقه الإسلامي في دورته الخامسة ١ - ٦ جمادى الأولى ١٤٠٩، الكويت في موضوع تحديد النسل وتنظيمه] إصدار مجمع الفقه الإسلامي، جدة، الأمانة العامة ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ .
- (١٩) أبو حامد الغزالي [محمد بن محمد]، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت .
- (٢٠) الشوكاني [محمد بن علي]، نيل الأوطار .
- (٢١) قرارات المجمع الفقهي، رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة .



(ب) المراجع باللغة الإنجليزية :

- (22) Encyclopedia Britannica, 15th edition, 1982, Enc. Britannica Inc.
- (23) Potts M and Diggory P: Textbook of Contraceptive Practice, Cambridge University Press, Cambridge 2nd edition, 1982.
- (24) Guillebaud J: The pill, Oxford University Press, Oxford, 3rd edition 1987.
- (25) Hawkins D and EldersM: Human Fertility control, Butterworths, London 1979.
- (26) Barnes J: Essentials of Family Planning. Blackwell Scientific Publications, London 1976.
- (27) Tindall V: Jeffcoate's Principles of Gynecology, Butterworths, London, 5th edition, 1987.
- (28) Hathout H: Topics in Islamic Medicine. Islamice Medicine Organisation, Kuwait 1983.
- (29) Teitz C, Henshaw S: Induced Abortion, A World Review 1986, 6th edition, the Alan Guttmacher Institute New York, 1986.
- (30) Lin Farley: The Sexual Harrasment of women on the job, 1978, Warner Books.

(ج) المجلات :

- (31) Time magazine, August 6, 1984.
- (32) Time magazine, Jaunary 4, 1988: 46 — 47.
- (33) Newsweek, July 17, 1989: 32 — 40.



## الفهرس

| الصفحة  | الموضوع   |
|---------|---|
| ٥       | المقدمة   |
| ٣١ - ١٣ | الفصل الأول: الانفجار السكاني وقضية تحديد النسل:            |
| ١٥      | نظرة تاريخية  |
| ١٥      | الأمم القديمة   |
| ١٥      | اليهودية  |
| ١٥      | النصرانية   |
| ١٦      | الإسلام   |
| ١٩      | ابن خلدون ومسألة السكان                                     |
| ٢٠      | التجاربيون في أوروبا يتبنون آراء ابن خلدون في قضية السكان   |
| ٢١      | الفيزيوقراطيون ومسألة السكان                                |
| ٢١      | المالطوسية ومسألة السكان                                    |
| ٢٣      | نظرة الاشتراكيين في مسألة السكان                            |
|         | فرانسيس بلاس وجيرمان بيتان والدعوة لاستخدام وسائل منع الحمل |
| ٢٤      | وسائل منع الحمل   |
| ٢٥      | أنصار تحديد النسل يخوضون المعارك                            |
| ٥٠ - ٣٣ | الفصل الثاني: نظريات مالطوس تصادم الواقع:                   |
| ٤٣      | خطأ نظرية مالطوس على ثلاثة مستويات                          |
| ٤٣      | المستوى العالمي   |
| ٤٤      | مستوى العالم الإسلامي                                       |
| ٤٧      | مستوى الدول العربية   |
| ٨٠ - ٥١ | الفصل الثالث: وسائل تحديد النسل:                            |

|    |  |
|----|--|
| ٥٣ | قتل المواليد                               |
| ٥٧ | الإجهاض                                    |
| ٦١ | الوضع القانوني للإجهاض                     |
| ٦٣ | الموقف الشرعي من الإجهاض                   |
| ٦٦ | آراء الفقهاء في الإجهاض قبل نفخ الروح      |
| ٦٩ | وسائل منع الحمل المؤقتة                    |
| ٦٩ | الوسائل الفسيولوجية                        |
| ٦٩ | الرضاعة                                    |
| ٧٠ | العزل                                      |
| ٧٠ | المفاخدة                                   |
| ٧٠ | الجماع في الفترة الآمنة                    |
| ٧٠ | الامتناع عن غشيان الزوجة فترة معينة        |
| ٧١ | الوسائل الميكانيكية                        |
| ٧١ | الرفال [القراب، الغلاف الواقي]             |
| ٧١ | الحاجز المهبل                              |
| ٧٢ | القبعة الرحمية                             |
| ٧٢ | إسفنجة المهبل                              |
| ٧٢ | اللؤلؤ                                     |
| ٧٣ | قاتلات الحيوانات المنوية                   |
| ٧٣ | الوسائل الهرمونية لمنع الحمل: مدى الانتشار |
| ٧٤ | ميزات وأضرار حبوب منع الحمل                |
| ٧٦ | وسائل منع الحمل الدائمة [التعقيم]          |
| ٧٧ | مدى انتشار التعقيم في العصر الحديث         |
| ٧٨ | لا وجود لحقوق الإنسان في العالم الثالث     |
| ٧٩ | حقوق الإنسان في البلاد المتقدمة            |
| ٧٩ | الوضع في البلاد الإسلامية                  |
| ٨١ | المراجع                                    |

## المؤلف د. محمد علي البار

تاريخ الميلاد: ٢٩/١٢/١٩٣٩ م.

الشهادات الجامعية:

- بكالوريوس طب وجراحة (درجة الشرف)، جامعة القاهرة ١٩٦٤ .
- دبلوم أمراض باطنية، جامعة القاهرة ١٩٦٩ .
- عضوية الكليات الملكية للأطباء بالمملكة المتحدة (لندن، أونيره وجلاسجو)، فبراير ١٩٧١ .

العمل: أخصائي أمراض باطنية.

مستشار قسم الطب الإسلامي، مركز الملك فهد للبحوث الطبية، جامعة الملك عبد العزيز، جدة.

شارك في مؤتمرات الطب الإسلامي ومؤتمرات مكافحة التدخين والمسكرات والمخدرات بأبحاث عدة، وشارك في المجامع الفقهية المنعقدة في مكة المكرمة (رابطة العالم الإسلامي) وفي جدة وعمّان والكويت (مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي) وشارك في ندوات المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالكويت ومؤتمرات الأطباء العرب في عمان وغيرها.

ألقي مئات المحاضرات عن التدخين، الخمر، المخدرات، الأمراض الجنسية والإيدز، الإعجاز الطبي في القرآن . . إلخ في العديد من الجامعات والأندية والمدارس .

شارك في أبحاث هيئة الإعجاز العلمي ومؤتمراتها .  
كتب مئات المقالات في الصحف والمجلات الصادرة في المملكة العربية  
السعودية، الكويت، اليمن، دولة الإمارات العربية، قطر، البحرين،  
القاهرة ولندن .

### المؤلفات

- أ- إصدارات الدار السعودية للنشر بجدة
- خلق الإنسان بين الطب والقرآن (الطبعة الثامنة) .
- الخمر بين الطب والفقہ (الطبعة السابعة) .
- التدخين وأثره على الصحة (الطبعة الرابعة) .
- العدوى بين الطب وحديث المصطفى (الطبعة الرابعة) .
- الصوم وأمراض السمنة (الطبعة الثالثة) .
- دورة الأرحام (الطبعة الخامسة) .
- عمل المرأة في الميزان (الطبعة الرابعة) .
- الوجيز في علم الأجنة القرآني (الطبعة الثالثة) .
- مشكلة الإجهاض (الطبعة الثالثة) .
- هل هناك طب نبوي (الطبعة الثانية) .
- موت القلب أو موت الدماغ (الطبعة الأولى) .
- أخلاقيات التلقيح الاصطناعي (الطبعة الأولى) .
- الأحكام الفقهية والأسرار الطبية في تحريم الخنزير (الطبعة الأولى) .
- علم التشريح عند المسلمين (الطبعة الأولى) .
- الأضرار الصحية للمسكرات والمخدرات والمنتجات (الطبعة الأولى) .
- المسيح المنتظر وتعاليم التلمود (الطبعة الأولى) .
- تيه العرب وتيه بني إسرائيل (الطبعة الأولى) .

- التركستان مساهمات وكفاح (الطبعة الأولى).
- التبغ والتدخين تجارة الموت الخاسرة (الطبعة الأولى).
- الموقف الشرعي من التبغ والتدخين (الطبعة الأولى).
- الإمام السيوطي وكتبه في الطب النبوي (تحت الطبع).
- المسلمون في الاتحاد السوفييتي عبر التاريخ (مجلدين).
- أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي.
- طفل الأنبوب والتلقيح الاصطناعي.
- الأمراض الجنسية أسبابها وعلاجها.
- الإيدز وباء العصر بالاشتراك مع د. محمد أمين صافي.
- المخدرات: الخطر الداهم - الأفيون ومشتقاته.
- الجنين المشوه والأمراض الوراثية.
- المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم.
- الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم.
- سياسة ووسائل تحديد النسل في الماضي والحاضر.
- الإمام علي الرضا والرسالة الذهبية (كتابه في الطب النبوي).
- السنن والسنن (من الطب النبوي العلاجي).
- زرع الجلد ومعالجة الحروق.
- زرع الكلى والفشل الكلوي.
- المشاكل الأخلاقية والفقهية في زرع الأعضاء.
- أدب الطبيب وفقهه بالاشتراك مع د. زهير السباعي.
- الطب النبوي لعبد الملك بن حبيب.

The Problem of Alcohol and Its Solution in Islam -  
 Human Development As Revealed in the Holy Quran and Hadith -  
 Contemporary Topics in Islamic Medicine. -